جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق
المجلة العلمية

مناقشة الإلحاد العلمي في ضوء علم الكلام الجديد عند وحيد الدين خان

إعداد

د/ مصطفى محمد يحي عبده
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد
كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

(العدد الرابع عشر)
(الإصدار الأول ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- نصف سنوية

مناقشة الإلحاد العلمي في ضوء علم الكلام الجديد عند وحيد الدين خان

مصطفى محمد يحيى عبده

قسم العقيدة والفلسفة – كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق ، جامعة الأزهر، مصر .

البريد الإلكتروني: Mustafa.mohamed@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تناول قضية من أبرز القضايا المطروحة على ساحة المسائل العقدية في الوقت الحاضر، ألا وهي دور "علم الكلام" في الوقت الراهن في مواجهة الإلحاد العلمي، وما يلزم ذلك من ضرورة تجديد علم الكلام ليتسنى له القيام بهذه المهمة الجليلة.

فإذا كانت النهضة الأوربية قد حققت تقدما هائلا في العلوم المادية والطبيعية الحديثة، وأمدت الإنسان بقدر هائل من المعرفة بأجزاء هذا الكون ومظاهره مما أضاف للإنسان كثيرا من الخبرات والإمكانات التي ساعدته بشكل كبير من السيطرة على بعض مظاهر الطبيعة، إلا أن هذه النهضة الأوربية الحديثة قد أفرزت إشكالا بل تحديا للعالم الإسلامي وللفكر الإسلامي ، والذي اتجه خطأ إلى الإلحاد ومعارضة الدين، بل جعل الخصومة مع الدين بشكل عام منتهيا إلى أن الدين شيء لا حقيقة له أو أنه قد استنفذ صلاحياته بمجرد ظهور العلم الذي فسر للإنسان كل ما كان يسأل عنه، وإن شئت قلت كل ما كان يسنده إلى الدين، ومن هنا كان لابد لعلم الكلام من دور تجاه هذا الإلحاد الذي أفرزته النهضة الأوروبية فهل يتسنى له القيام بذلك وهو على وضعه الذي أنشئ عليه أم لابد من تجديده لكي يتأتى له مواجهة الواقع الفكري الجديد؟ وما هي سبل مواجهة هذا الالحاد؟

الكلمات المفتاحية: وحيد الدين خان ، علم الكلام ، تجديد ، إلحاد ، مناقشة.

In the Name of Allah, the Most Gracious, the Most Discussing scientific atheism in the light of the new theology of Wahiduddin Khan

Mustafa Mohamed Yahya Abdo
College of Osol Al- Diyn-Zagazyg - Al-Azhar University – Egypt
Email: Mustafa.mohamed@azhar.edu.eg

Abstract:

The purpose of this research is to address one of the most prominent issues currently on the field of nodal issues, namely, the current role of "scientific science" in the face of scientific atheism, and the need to renew the science of speech so that it can carry out this important task.

If the European Renaissance has made tremendous progress in modern physical and natural sciences, And, man has provided a tremendous amount of knowledge of the parts and manifestations of this universe, which has added to man many of the experiences and possibilities that have greatly helped him control some of the manifestations of nature, However, this modern European renaissance has created a problem and even a challenge for the Islamic world and for Islamic thought, which has erred in atheism and opposition to religion, but has made the general argument with religion a conclusion that religion is not real or that it has exhausted its powers once the science that has explained to the human being everything he has been asking for, and if you so wish, you have said everything he has attributed to religion, Hence, science of speech had to play a role in this atheism created by the European Renaissance. Is it possible for him to do so on the basis of the status on which he was founded, or must he be renewed in order to be able to confront the new intellectual reality? What are the ways to confront this atheism?.

Keywords: Wahiduddin Khan, Physiology, Refurbishment, Atheism , Discussion.

الحمد لله رب العالمين خلق الإنسان وكرمه بالعقل وسخر له ما في السماوات والأرض، وأمره بالنظر في كل ذلك ليستدل عليه سبحانه، وفضلا عن ذلك أرسل رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،،

فعلم الكلام، هو ذلك العلم الذي تتقرر فيه أصول الدين، وتقام عليها الأدلة والبراهين وتدفع عنها الشبهات، وإذا كانت النهضة الأوربية قد حققت تقدما هائلا في العلوم المادية والطبيعية الحديثة، وأمدت الإنسان بقدر هائل من المعرفة بأجزاء هذا الكون ومظاهره مما أضاف للإنسان كثيرا من الخبرات والإمكانات التي ساعدته بشكل كبير من السيطرة على بعض مظاهر الطبيعة، إلا أن هذه النهضة الأوربية الحديثة قد أفرزت إشكالا بل تحديا للعالم الإسلامي وللفكر الإسلامي يتمثل ذلك في الصدام الذي وقع في أوروبا بين مقررات العلم الحديث وبين المسيحية الغربية واتجه خطأ الى الإلحاد ومعارضة الدين، ولم يكتف الفكر الأوربي الحديث بقصر معارضته على الدين المسيحي، بل جعل الخصومة مع الدين بشكل عام منتهيا إلى أن الدين شيء لا حقيقة له أو أنه قد استنفذ صلاحياته بمجرد ظهور العلم الذي فسر للإنسان كل ما كان يسأل عنه، وإن شئت قلت كل ما كان يسنده إلى الدين، من هنا كان لابد من دور لعلم الكلام تجاه هذا الإلحاد الذي أفرزته النهضة الأوروبية فهل يتسنى له القيام بذلك وهو على وضعه الذي أنشئ عليه أم لابد من تجديده لكي يتأتى له مواجهة الواقع الفكري الجديد؟

أهمية الموضوع:

مناقشة الاتجاه الفكري الذي أفرزته الحضارة الأوروبية هو من أهم مهمات علم العقيدة أو علم الكلام الذي مهمته الأساسية إثبات العقائد الإيمانية بإقامة الدليل عليها ودفع الشبهات عنها، ولن يتأتى لعلم الكلام القيام بهذه المهمة إلا

إذا تم تجديده وتحديث منهجه ووسائله لكي يقاوم هذا الواقع الفكري الجديد، من أجل ذلك تم اختيار هذا الموضوع لمناقشة سبل تجديد علم الكلام ليظل قائما بدوره ووظيفته التي أنشئ من أجلها، وهذا ما لا حظه وحيد الدين خان من أن ثمة فجوة بين علم الكلام بصورته التي أنشئ عليها، وبين الواقع الفكري الجديد الذي أفرزته النهضة الاوربية فأدرك أن من الضروري القيام بتجديد علم الكلام سواء من حيث المنهج أو الأدلة المستخدمة لسد هذه الفجوة.

خطة البحث:

سوف أقسم البحث الى المباحث التالية:

المبحث الأول: نظرة عامة حول مصطلح التجديد ومشروعيته في العلوم الإسلامية عامة وعلم الكلام خاصة.

المبحث الثاني: ضرورة تجديد علم الكلام عند وحيد الدين خان.

المبحث الثالث: ضوابط تجديد علم الكلام عند وحيد الدين خان – المنهج والأدلة.

المبحث الرابع: توظيف علم الكلام الجديد في نقض دعاوى الإلحاد العلمي.

المبحث الخامس: منهج علم الكلام الجديد في الاستدلال على وجود الله تعالى.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وأهم التوصيات.

الفهارس: وفيها أهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول: نظرة عامة حول مصطلح التجديد ومشروعيته في العلوم الإسلامية:

ترجع كلمة التجديد في أصلها اللغوي إلى الجيم والدال المضعفة، ومنها أتى لفظ الجديد، وللجديد في اللغة معاني كثيرة، من بينها ما هو ضد القديم، يقال جدَّ الثوب يجِدُّ، أي صار جديدا، وهو نقيض الخَلِق، وأجدّ الثوبَ واستجده: لبسه جديدًا، ويقال للرجل إذا لبس ثوباً جديدًا: أَبلِ وأَجِد، واحمد الكاسي، ويقال: بلَيِ بيت فلانٍ ثم أجد بيتا، وجدد الشيء، صيره جديدًا، والجديد: ما لا عهد للإنسان به.(١)

يتضح من هذه الاستعمالات اللغوية أن هذه المادة اللغوية تدور حول الجدة التي هي نقيض البلى، وحول الجديد الذي هو ضد القديم.

التجديد إذَن هو تصَييِر الشيء جديدًا بما يضاف إليه من عناصر ومقومات مادية أو معنوية، بحسب طبيعة الشيء، فتجديد البيت يقتضي معالجة ما فيه من مظاهر القِدم وإضافة ما يؤدي إلى تحويله في مقوماته ومظهره إلى بيت جديد، وتجديد الفكر يقتضي تخليصه من الشوائب التي عرضت له في مراحله التاريخية بحيث لا يتبقى فيه إلا ما يجعله متوافقا مع ما يجدُّ من الأحداث والأفكار، مع الاستمساك بما فيه من مقومات جوهرية لا يصح التفريط فيها؛ لأن التفريط فيها يخرجه عن طبيعته، ويقطعه عن مصادره التي تأسس عليها، وعن الغايات التي أنشئ لتحقيقها، وهذا يقتضي تأملا ومراجعة واجتهادا للربط بين الفكر والواقع، فإذا كان الأمر بصدد فكر مؤسس على عقيدة أو ما يشبهها فإن ذلك يقتضي زيادة على ما سبق أن تُراعى صلة هذا التجديد بهذه العقيدة، بحيث

(١) لسان العرب، لابن منظور الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة الأولى١٩٩٧م والمعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر، محمد النجار، نشر: دار الدعوة بالقاهرة بدون تحقيق مجمع اللغة العربية مادة: (جدد)

لا تنفصم العرى بينه وبينها؛ بل تظل تلك الصلة محفوظة دائما، دون قطيعة أو انفصال.

الإطار العام للتجديد:

والتجديد في العلوم الشرعية بصفة عامة كما يراه العلماء، هو بمثابة نظرٍ جديدٍ، وفهمٍ جديدٍ يسعى في ظل شروط موضوعية ينبغي على أصحاب التجديد مراعاتها إلى تنزيل أحكام الشريعة على ما يجد من الوقائع والنوازل التي لم ينزل فيها بذاتها أحكام خاصة بها، ولكنها تخضع ضرورةً لأحكام الشريعة التي جعلها الله تعالى من الكمال والعموم بحيث تشمل الزمان والمكان والإنسان.

- **ضرورة التجديد**

الحياة البشرية كما هو معلوم خاضعة للتطور والتجدد يحدث فيها من الوقائع ما يقتضي نظراً جديدًا، تتطور به مناهج الاستنباط وأدواته، كي تدخل هذه الوقائع تحت مظلةِ أحكام الشريعة الإسلامية العامة؛ وذلك إما بإلحاق هذه المستجدات بأشباهها مما جاء فيها حكم شرعي، أو بمراعاة مقاصد الشريعة الكلية، أو بما حرصت الشريعة على تحقيقه من تحصيل للنفع ودفع للضرر ورفع للحرج.

- **مشروعية التجديد في علوم الشريعة عامة:**

عند التأمل نجد أن التجديد بالمعنى السابق أمر مشروع جاءت مشروعيته من منطلق خاتمية رسالة الإسلام وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وتأكيدا لكون شريعة الإسلام موافقة للعقل، ملائمة للفطرة، وقد أكد هذه المشروعية قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن اللهّ يبَعث لهذه الأمة على رأس كل مِئة سنة من يجدد لها دينها.[١]

(١) أخرجه أبو داود في سننه تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، =

- **حول نشأة علم الكلام:**

أشار طاش كبرى زادة[١] إلى أنه كان لفرقة المعتزلة أثر كبير في نشأة علم الكلام وكذلك كان للاتصال بالفلسفة اليونانية بعد ترجمة كتبِها إلى اللغة العربية أثرٌ غير قليلٍ في هذه النشأة، وفي صياغة منهج هذا العلم، وفي ذلك يقول الشهرستاني: ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتبَ الفلاسفة حين فسرت أيامَ المأمون، فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فنا من فنون العلم، وسمتها باسم الكلام.[٢]

- **مهمة علم الكلام:**

تمثلت مهمة علم الكلام عند نشأته في جانبين أساسيين:

أولهما: بيان العقائد الإسلامية، والبرهنة على صدقها بالأدلة العقلية إلى جانب الأدلة النقلية.

وثانيهما: الرد على الشبهات والشكوك التي توجه إلى هذه العقائد من خصوم الإسلام على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وكذلك مناقشة عقائد المخالفين،

=

د.ت، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة، وقال عنه": وقد اعتمد الأئمة هذا الحديثَ "وذكر ممن أخرجه الطبراني في الأوسط، والحاكم في مستدركه وقالا :إنه صحيح .انظر :المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للإمام السخاوي ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الأولى ١٩٧٩ م ص: ١٢١ وما بعدها.

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار المعرفة، ط دار الكتب الحديثة بيروت ، بدون٠ ٨٨.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني نشر: دار المعرفة – بيروت ، ١٤٠٤ ج١/٢٠.

وتقديم البراهين والحجج على بطلانها وبيان زيفها، وهي مهمة مكملة للمهمة الأولى. (١)

يقول الإمام الغزالي مؤكدا على المهمة الجليلة لعلم الكلام إن الله تعالى أنشأ طائفة المتكلمين، وحرك دواعيَهم لنصرة السنة بكلامٍ مرتبٍ، يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدَثة على خلاف السنة المأثورة، فمنه نشأ علم الكلام وأهله. (٢)

وقد بذل علماء الكلام على اختلاف مدارسهم، جهودا كبيرة في مواجهة خصومهم من أهل الأديان الأخرى من الثنوية والدهرية والملاحدة وأمثالهم، وألفوا في ذلك الكتب والرسائل، وعقدوا المناظرات، وسافروا للقاء أهل الشبهات في مواطنهم، ونجحوا في إقناع كثير من هؤلاء الخصوم ببطلان عقائدهم، وكان ذلك موضع فخر واعتزاز، ونظر علماء الكلام إلى علمهم على" أنه أرفع العلوم وأعلاها، وأنفعها وأجداها، إذ هو المتكفل بإثبات الصانع وتوحيده وتنزيهه عن مشابهة الأجسام..، وإثبات النبوة التي هي أساس الإسلام، وبه يترَقى الإنسان في الإيمان من درجة التقليد إلى درجة اليقين وبه تحفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين.

(١) وليس معنى هذا التأثر تبعية علم الكلام المطلقة للفلسفة،/ بل إن علم الكلام اختلف مع الفلسفة من حيث المقاصد والغايات، ووصل الأمر في العلاقة بالفلسفة– إلى حد –أن ينظر كثير من علماء الكلام إلى الفلاسفة بوصفهم خصوما في العقائد، كما يقول ابن خلدون انظر: المقدمة لابن خلدون، ط دار الجيل، بيروت، بدون٠ ص :٢٦٩، إحصاء العلوم، للفارابي، تحقيق د. عثمان أمين، ط– دار الفكر العربي، الثانية ص: ١٠٧.

(٢) المنقذ من الضلال للإمام الغزالي تحقيق د/ عبد الحليم محمود ط دار المعارف مصر سنة ٢٠٠٣ ص: ٣٣٨.

- **مشروعية التجديد في علم الكلام خاصة:**

إذا كان علم الكلام هو العلم الذي تبحث فيه مسائل العقيدة التي هي أساس بناءِ الإسلام؛ وموضوعه يتعلق بإقامة البراهين على وجود الله وتوحيده وكماله، وعلى صدق النبوة، والإيمان بالبعث واليوم الآخر، فهو من هذه الجهة العلم الكلي وما سواه من العلوم الشرعية علوم جزئية على حد قول الإمام الغزالي، حيث يقول: فالعلم الكلي من العلوم الدينية هو الكلام، وسائر العلوم من الفقه وأصوله والحديث والتفسير علوم جزئية"(١)

وإذا كان التجديد ضروريا في علوم الشريعة عامة فهو في العلم الكلي الذي يتضمن إثبات أصل هذه العلوم يكون أشد ضرورة بلا شك.

- **لماذا تجديد علم الكلام.؟**

يمكن أن نقول هنا على سبيل الإجمال إنه على الرغم من الغاية الجليلة التي من أجلها أنشئ علم الكلام إلا أنه خلال مسيرته طرأت عليه أمور تسببت في توجيه كثيرٍ من أوجه النقد إلى هذا العلم، بل وأُلفت كتب كثيرة في هذا الصدد وشارك في هذا النقدِ فقهاء ومحدثون وصوفيةٌ ومؤرخون وفلاسفةٌ ومفكرون، وقد اتجهت بعض اتجاهات النقد إلى المنهج أحيانا وإلى الطريقة أحيانا أخرى، ووجه بعضها إلى المسائل والقضايا، وإلى الوجهة التي اتجه العلم إليها، أو إلى التقليد والجمود الذي أَلمَّ بالعلم، كشأن علوم إسلامية أخرى، وهذه كلها عوامل وبواعث تدعو إلى تجديد هذا العلم في منهجه وفي وسائله وفي موضوعاته.(٢)

---

(١) المستصفى من علم الأصول للإمام الغزالي ت د/ أحمد زكي حماد ص:٧.

(٢) التجديد في العلوم الدينية "علم الكلام أنموذجًا"أ .د /عبد الحميد عبد المنعم مدكور ، مجلة أصول الدين تصدر عن كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الأسمرية الإسلامية .. ليبيا المجلد الثاني ١٤٣٨ هـ ٢٠١٧م.

وعلى سبيل التفصيل يمكن رصد بعض الأمور التي طرأت على هذا العلم وتسببت في توجيه النقد إليه:

- كانت مهمة المتكلمين الأساسية في أول أمرهم هي الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد خصومها من خارج الدائرة الإسلامية، وقد كان هؤلاء الخصوم يكتبون الكتب في الطعن على عقائد الإسلام، والتشكيك في أصوله الكبرى كوجود الله وتوحيده، ونبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعالمية رسالته، وختم النبوة به، وكانت هذه الكتابات، جديرة بأن تحدث بلبلة في عقائد المسلمين لو تركِت هكذا دون ردٍ عليها.، وفي ذلك قيل ..." لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام.

وقد قام بهذه الجهود علماء الكلام، من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم ممن يصدق عليهم هذا الوصف، حتى ولو لم ينتسبوا إلى فرقة بعينها، كالمسعودي، والبيروني، وابن حزمٍ وغيرهم،

وقد كانت هذه الجهود موضعَ تقدير المسلمين وثنائهم، لدرجة أن يصفها أبو الحسن العامري في كتابه الإعلام بمناقب الإسلام بأنها لا تقل في أهميتها وفي حاجة المسلمين إليها عن الجهود التي يقوم بها الجنود في ميادين الجهاد فغاية الفريقين واحدة، وهي صيانة الدين والدفاع عنه.(١)

- لكن هذا الاتجاه إلى مواجهة الخصوم الخارجيين، ما لبث أن زاحمه بل ربما غلبه، اتجاه آخر ساق المتكلمين إلى مواجهة خصومهم من الإسلاميين، فتحولت المواجهة إلى داخل الساحة الإسلامية، وشهد علم الكلام انقسام

(١) الإعلام بمناقب الاسلام لأبي الحسن العامري ط مؤسسة دار الاصالة الرياض الأولى ١٤٠٨ هـ ص: ١١٢.

المنتسبين إليه إلى فرق وطوائف متناحرة متحاربة، ووصل الأمر أحيانا إلى حد التكفير.

- وقد ألمح الإمام الغزالي إلى هذه الحالة التي وصل إليها علم الكلام حيث يقول في فيصل التفرقة:" كل فرقة صارت تكفر مخالفها، ولم يقتصر الأمر على تكفير المخالفين من أصحاب الفرقة الأخرى، بل وقع ذلك أحيانا بين المنتسبين إلى مذهب واحد أو فرقة واحدة، وأدى كل ذلك إلى إثارة غبار من الشك على علم الكلام في جملته وعلى مدى تمسكه بالغايات والمقاصد التي أنشئ من أجلها.
- ربما يتصل بالمسألة السابقة ما تسلط من الخلاف على الفكر الكلامي، وما صاحبه من إعجاب كل ذي رأي برأيه، بحيث لم تعد الغاية من العلم مقتصرة على طلب الحق وإقامة الحجة، بل ربما تعدت ذلك إلى إفحام الخصم وبيان تهافت آرائه، ومن ثم اتخذ علم الكلام شكلا وصف بأنه ذو طابع جدلي.
- وبناء على ذلك لم تعد الحجج التي تداولها المتكلمون في خصوماتهم من القوة بحيث تحسم الخلاف، وتحقق اليقين، وترتب على هذا الأمر القول بأن المنهج الكلامي في الاستدلال أصبح لا يؤدي إلى طمأنينة القلب في مسائل العقيدة، وربما هذا ما لاحظه الإمام الغزالي، حيث ذكر في سياق نقده لعلم الكلام أن" الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جدًا، وأنه مشرف على الزوال بكل شبهة". [١] وكذلك قوله: فلم يكن الكلام في حقي كافيا، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافيا"[٢]

(١) فيصل التفرقة للإمام الغزالي ص: ٧٩، بتحقيق محمود بيجو طبعة أولى سنة ١٩٩٣م.
(٢) المنقذ من الضلال ص: ٣٤٠.

- ولم يكن ذلك الملحظ خاصا بالإمام الغزالي، بل ربما اشترك فيه بعض من سبقه أو لحقه كالفارابي في إحصاء العلوم، وابن رشد في مناهج الأدلة، ولعل ذلك ما دفع الإمام الغزالي إلى أن يثني على طريق الصوفية الذين يعتمدون في تحصيل اليقين على التوجه إلى الله بالعبادة والذكر، وتفريغ القلب من الشواغل، وانتظار ما يرد عليهم من الفيوضات والإلهام والعلم اللدني الذي يتصف بالوثاقة واليقين. (١)
- يضاف إلى ما تقدم ذلك الطابع الذي اتسم به منهج علم الكلام حيث بدأ في أكثر الأحيان أشبه بالقضايا الرياضية، التي قد تبهر العقل بما فيها من اتساقٍ وانسجامٍ بين المقدمات والنتائج، وبما فيها من مهارة عقلية في استخلاص الأدلة، وملاحظة مواطن الضعف في كلام الخصوم، والتنبه إلى دقائق التعبير في النصوص الشرعية عند الاحتجاج بها، ولكن هذا يمضي في طريقه دون أن يعنى كثيرا بجانب مهم من مقومات الإقناع التي تحدث تأثيرها في الإنسان، وهو جانب الشعور والوجدان.
- أيضا لوحظ على كلام كثير من المتكلمين أن قل لديهم الاعتماد على الأدلة القرآنية الشرعية في إثباتهم للعقائد الدينية، وربما كان هناك ما يسوغ لهم ذلك في جدالهم مع غير المسلمين؛ لكن الأمر سار على النهج نفسه في جدال بعض الفرق لبعض بل وصل الأمر ببعض الفرق الكلامية، كالمعتزلة مثلاً، أن عزلت الدليل الشرعي عن أن يكون دليلا مستقلا أو معتمَدًا في أصول العقائد كالإيمان بالله تعالى وإثبات النبوة.
- ولعل السبب في ذلك يرجع إلى علاقة علم الكلام بالفلسفة اليونانية وما كان له من أثر في بنية الأدلة الكلامية نفسها، وكان للمعتزلة الأثر الأكبر في

(١) المنقذ من الضلال بتحقيق أ.د/ عبد الحليم محمود ص: ٣٣٣ ، ٣٧٧ وما بعدهما.

استحضار هذه الموضوعات والمصطلحات الفلسفية مصحوبة بطريقة الفلاسفة في الصياغة المنطقية، وها هو الجاحظ يقول: ولا يكون المتكلم جامعًا لأنظار الكلام، متمكنا في الصناعة، يصلح للرئاسة حتى يكون الذي يحسِن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة، والعالم عندنا هو الذي يجمعهما.

- يضاف إلى ما سبق أن الحركة العقلية المزدهرة التي حفل بها علم الكلام في أثناء انشغاله بالرد على أصحاب العقائد الأخرى، قد ضعفت وحل محلها نقد الفرق الكلامية الإسلامية لبعضها، واتجه كثير من العاملين في حقل هذا العلم إلى تقليد العلماء القدامى، من أئمة المذاهب وشيوخها، وأدى كل ذلك التقليد إلى تعصب المتأخرين لآراء المتقدمين، والتقوقع داخل المذاهب، بحيث يعتقد أتباع كل مذهب أن الحق منحصر فيه.
- وربما كان الإمام الغزالي يعني ذلك عندما يقول: إن أحدا من المتكلمين لو اطلع على رأي من الآراء فاقتنع بصحته وصوابه، ثم علم بعد ذلك أنه رأي واحد من علماء فرقة أخرى مخالفةٍ لرجع عن هذا الرأي الذي كان قد اقتنع به.
- كل ذلك قد أدى إلى ضعف الإبداع، وندرة الجدة؛ وغلبة الفتور والتقليد، والاتجاه إلى الماضي من المؤلفات الكلامية، فكثر أسلوب الحواشي والتقارير التي كتبت على المتون القديمة وشروحها وقد ظهر ذلك بشكل واضح خلال القرنين العاشر والحاديَ عشرَ الهجريين وأكثر القرن الثاني عشر.
- كل ذلك كان من أسباب توجيه النقد إلى علم الكلام.

نماذج من مقترحات التجديد لعلم الكلام.

ثمة نماذج ومقترحات كثيرة لتجديد علم الكلام، نشير إلى بعضها.

- كان هناك من دعاة التجديد من اتجه إلى تفسير المعتقدات الإسلامية على ضوء الكشوف العلمية الحديثة، ومن هؤلاء: السيد أحمد خان (١٨٩٨ م)،

الذي كان يرى أن علم الكلام القديم نشأ لمجابهة العلم والفلسفة اليونانيين، وإذا كان هذان العلمان قد انقرض عصرهما فإن ذلك يعني انقراض علم الكلام القديم أيضًا؛ ولهذا ينبغي تطوير علم جديد للكلام للتوفيق بين الدين والنظريات المتجددة الوافدة من الغرب في ساحة العلم والفلسفة، وأن عليه أن يواجه الشبهات والتحديات الجديدة النابعة من اليقينيات والحقائق التجريبية التي لا يمكن مواجهتها ومجابهتها على أرضية الفروض والاحتمالات الفكرية القديمة، كما كان الشأن في مواجهة الفلسفة اليونانية القديمة.

ومن هنا جاءت دعوته لتطوير علم الكلام على الأسس والدعائم الحديثة حتى يمكن له مجابهة تحديات الفلسفة والعلوم التطبيقية الحديثة السائدة في عصرنا اليوم.

- وهناك نموذج آخر لدى شبلي النعماني والذي كتب كتابه" في علم الكلام " متبنيا الدعوة إلى تطوير علم الكلام، غير أنه يرى أن هذا العلم نوعان: نوع منه يمثله علم الكلام القديم، وهو قديم في بنيته وكيانه، وهو يعالج القضايا القديمة التي يصفها بأنها بالية متآكلة، وأنها مضنية عسيرة، بسبب ما فيها من البراهين والأدلة، والآخر هو الذي يعالج القضايا والمشكلات الجديدة التي أظهرتها المعتقدات الغربية والفلسفات الجديدة والعلوم التطبيقية الحديثة، وهو يصف هذا النوع الثاني بأنه يمثل اجتهادًا ومبادرات للتفكير الجديد.
- وهناك بعض صور التجديد تركزت حول الانتماء المذهبي لفرقة أو لأخرى من فرق علم الكلام، بعضها ينطلق من فكر المعتزلة، كهذا الذي نجده لدى د /أحمد صبحي، الذي يقول: "إنه مع التسليم بكل ما أخِذ على المعتزلة من إسراف، سواء في الفكر أو في العمل، فإن تجديد الفكر الإسلامي لا يكون إلا ببعث تلك الروح الوثابة التي تميز فكر المعتزلة؛ حتى ندفع عن الإسلام عادية مذاهب معادية، كما دفع الاعتزال عن الإسلام عادية أديان مخالفة.

- ومنها من يرجح أن يكون التجديد وفق النموذج الأشعري نظرا لأن الأشعرية هي التي تمثل مذهب أهل السنة والجماعة، ولأنها عقيدة الجمهرة الكبرى من المسلمين.
- وهناك من يرى أن التجديد إنما يكون بعرض العقيدة الإسلامية، دون التزام بآراء فرقة كلامية بعينها ويمثل هذا النموذج ما قدمه الشيخ محمد عبده (ت ١٩٠٥م)، والذي أودعه كتابه رسالة التوحيد، كما أن ردوده على المستشرقين، وكتاباته عن أن الإسلام دين العلم والمدنية تمثل جانبا مهما من جوانب القضايا التي ينبغي على علم الكلام الجديد أن يواجهها مواجهة علمية منهجية بعد المعرفة الدقيقة بها.

المبحث الثاني: ضرورة تجديد علم الكلام عند وحيد الدين خان[١]

تمهيد:

أهم ملاحظات وحيد الدين خان على علم الكلام:

(١) وحيد الدين خان مفكر مسلم هندي معاصر،(ولد ١٩٢٥ وتوفي ٢٠٢١) لهُ فكر متميز يحاول الجمع بين المنهج الإسلامي والمنهج العلمي والفلسفي وبهذا المنهج كان يحاور الملحدين واللادينين في العديد من كتبهِ.

تتميز مؤلفاته بأنها تجمع بين البساطة والعمق وبالتالي تناسب مختلف أنواع القراء.

حياته

كانت دعوتهُ قائمة على مهاجمة العنف وجماعات العنف المسلح، والدعوة لتبني المنهج العلمي في الدعوة. ولعلً كثيراً من القراء العرب يعرفون وحيد الدين خان من مؤلفه المشهور «الإسلام يتحدى» ولكنّه من المؤسف مازال مجهولاً على الصعيد الفكري المنهجي بسبب تأخر ترجمة مؤلفاته إلى اللغة العربية، ومن عرف وحيد الدين المفكر المنهجي سوف يجد أمامه نوعية فريدة من الفكر الإسلامي الإيجابي. فهو مفكر عملاق يتصدى لمعالجة أعقد قضايا الفكر بأسلوب علمي يبهر العقول. والميزة التي يمتاز بها وحيد الدين خان من بين أقرانه من مفكري العصر هو إقباله الواضح في دراسة الكتب العلمية والفكرية باللغة الانكليزية.

وتمتاز كتاباته بالأسلوب العلمي والتحليلي، فهو أحد المفكرين المسلمين القلائل الذين تمكنوا من استيعاب ثقافة العصر، وفي نفس الوقت فهو متمكن من العلوم والدراسات الإسلامية في أدق خفاياها وكما جاء في وصفه »:وحيد الدين خان أحد المفكرين المسلمين القلائل الذين جمعوا بين ثقافة العصر في أعمق ظواهرها وأعقد تشعبانها، وبين ثقافة الإسلام الخالدة في أدق خصائصها وأشمل معطياتها وهي ميزة قلما وجدت بين مثقفي هذا العصر» انظر مجلة الأمة القطرية ذو القعدة ١٤٠٥هـ ، وانظر موسوعة أعلام المجددين في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الخامس عشر للهجرة تأليف سامح كريم مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة بدون ج١ ص: ٣٦٧.

لفت انتباه وحيد الدين خان ذلك التقدم العلمي والاكتشافات المعرفية التي حققها الفكر الأوروبي، فيما يتعلق بالعلوم الطبيعية، وما وقع فيه هذا الفكر من إلحاد ومحاربة للدين باسم العلم، فأيقن أن الوسيلة التي تستطيع أن تدافع عن الدين، وأن تواجه ذلك الإلحاد العلمي لابد أن تكون متسلحة بنفس السلاح الذي يتسلح به الخصم، ولما كان علم الكلام هو العلم الذي يناط به الدفاع عن العقيدة الإسلامية، فإنه لابد – لكي يؤدي هذا العلم مهمته على أكمل وجه – أن يقام هذا العلم على أسس علمية، وأن تكون أدلته مقتبسة من مشاهدات الطبيعة، حتى يكون دفاعه عن الدين أنجع في تفنيد شبهات الإلحاد الذي يتمسح بالعلم.

من هذا المنطلق أخذ السيد وحيد الدين خان في فحص علم الكلام القديم ومدى ملاءمته للدفاع عن الاسلام في هذا الوسط الفكري الجديد الذي يقوم على العلوم الطبيعية والتجريبية، فوجد أن هذا العلم لن يتسنى له مواجهة ذلك الواقع الفكري الجديد إلا إذا تم تجديده تجديدا يشمل المنهج المتبع والأدلة المستخدمة، ونستطيع أن نلخص الجهود التي قام بها السيد وحيد خان في النقاط التالية:

- بيان أن الإسلام هو الذي مهد الطريق للعلوم الطبيعية.
- علم الكلام القديم والواقع الفكري الذي سيواجهه.
- علم الكلام الجديد – المنهج والأدلة
- العلاقة بين منهج علم الكلام الجديد وبين القرآن الكريم.

وإليك تفصيل هذه الجهود:

- **بيان أن الإسلام هو الذي مهد الطريق للعلوم الطبيعية.**

إذا كان الإنسان الأوروبي في العصر الحديث يفتخر بأنه يمتلك ناصية العلوم الطبيعة، تلك العلوم التي مكنت الإنسان من السيطرة على بعض مظاهر الطبيعة فإن التحقيق العلمي يؤكد أن الإسلام في الحقيقة هو الذي مهد الطريق أمام البشرية للاهتمام بهذه العلوم، فكم كان حريا بالمسلمين أن يتقدموا وأن يمتلكوا ناصية هذه العلوم.

ويتضح ذلك إذا عرفنا أن الشِرك كان هو الغالب على البشرية قبل الإسلام، وقد مثل الشرك أكبر عائق للإنسان عن العلوم الطبيعية حيث كانت مظاهر الطبيعة مثل الشمس والقمر والنجوم والكواكب وغيرها محل تقديس من البشر بل ربما كانت آلهة تعبد من دون الله، فلما جاء الإسلام بين أن كل هذه المظاهر إنما هي مخلوقة ومسخرة للإنسان قال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}.(١)

فإذا كان الإنسان قبل الإسلام يعتقد أن القمر مثلا معبود فكيف يتأتى له أن يفكر أن يطأه بقدمه، وإذا كان الإنسان يعتقد أن السيول كذلك مقدسة فكيف يفكر في تسخيرها وفي توليد الكهرباء منها، وقل مثل ذلك في كل مظاهر الطبيعة التي كانت محل تقديس من الإنسان قبل الإسلام، فلما أزاح الإسلام فكرة القداسة عن هذه المظاهر وبين أنها مخلوقة مثل الإنسان بل ومسخرة له، فإنه بذلك يكون قد مهد الطريق بل إن شئت قلت قد أعطى الإنسان الإشارة الأولى للانطلاق نحو هذه المظاهر يدرسها ويعلم عنها كل شيء كي يستفيد منها أعظم استفادة من حيث هي مسخرة له.(٢)

وبذلك كما يقول وحيد الدين خان: مهد الإسلام طريق تقصي الحقائق وإدراك علوم الطبيعة، وكشف الغطاء عن أسرارها، وبالتالي انتصر الإنسان على الطبيعة... فالتخلف الحضاري والتردي العلمي كان نتاج الشرك ولولا التوحيد لما بلغت الحضارة ما بلغته الآن في العلوم والتكنولوجيا".(٣)

---

(١) سورة لقمان الآية رقم: ٢٠.

(٢) انظر: البعث الإسلامي وحيد الدين خان ترجمة محسن عثمان الندوي، مراجعة د. عبد الحليم عويس ط. دار الصحوة للنشر والتوزيع ط. أولى سنة ١٤٠٥ هـ ص: ٩١.

(٣) المرجع السابق ص: ٩٢.

وتأكيدا لهذا الملحظ يقول المؤرخ آرنولد توينبي {١٨٨٩- ١٩٧٥ م} إن إحدى نتائج الثورة الفكرية التي برزت إلى حيز الوجود على أساس التوحيد أن الإنسان بدأ يلقي نظره على علم الطبيعة على أساس أنها مخلوق وله حق أن يعلمه ويسخره. (١)

موقف المسلمين من هذه الدعوة القرآنية:

لقد أخذ المسلمون الأوائل بمبادئ دعوة القرآن إلى العلم وبرعوا في ذلك وبلغوا مبلغا عظيما، فنمت على أيديهم علوم طبيعية كثيرة فعلى سبيل المثال كان خالد بن يزيد بن معاوية (٢) أول من نمى علم الكيمياء كعلم طبيعي، وتطور هذا العلم في بغداد بصورة كبيرة في العصر العباسي وانتشر في أسبانيا وصقلية، وفاق المسلمون في تلك العصور جميع الشعوب والأمم في التقدم العلمي والحضاري، وكانت هذه الفترة تمثل العصور المظلمة في أوروبا يقول آرنولد توينبي إذا كان هذا العهد مظلما فإنه كان كذلك بالنسبة لأوروبا فقط لا للمسلمين. (٣)

---

(١) انظر: البعث الإسلامي وحيد الدين خان ترجمة محسن عثمان الندوي، مراجعة د. عبد الحليم عويس ط. دار الصحوة للنشر والتوزيع ط. أولى سنة ١٤٠٥ هـ ص: ٩٢.

(٢) خالد بن يزيد بن معاوية (٨٥-١٣هـ) هو حفيد الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان وابن الخليفة الثاني يزيد بن معاوية .كان مهتماً بالعلوم وراعيا للمشتغلين بها، وهو أول من اهتم من العرب بعلم الكيمياء وترجم فيه الكتب، ذُكر للخلافة بعد أن تنازل عنها أخوه معاوية بن يزيد وطلبها متنازعاً عليها مع عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم، فذهبت إلى مروان بن الحكم الذي تزوج أمه، وقيل غصباً. واتجه هو إلى طلب العلم، و خصوصاً علم الكيمياء. انظر البداية والنهاية لابن كثير تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي طبع دار هجر للطباعة والاعلان ١٩٩٨م ج١١ ص: ٣٦٥.

(٣) انظر : الدعوة الى الإسلام سير توماس آرنولد ترجمة د/ حسن إبراهيم واخرون ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٧١ص: ١٥٥

ولكن ماذا حدث؟

ظل المسلمون يسايرون موكب العلم، ويحملون رايته حتى انقرض نظام الخلافة العربية بسبب الخلافات التي سرت في المجتمع الإسلامي فحمل الأتراك العثمانيون راية الإسلام؛ فانتقل مركز الثقل الإسلامي من بغداد إلى تركيا، ثم ما لبث الأمر بعد ذلك أن انتقلت تلك العلوم من العالم الإسلامي إلى الغرب. (١)

- **علم الكلام القديم والواقع الفكري الذي سيواجهه.**

أخذ السيد وحيد خان على علم الكلام القديم عدة ملاحظات تجعل من الضرورة تجديده ليتمكن من مواجهة الواقع الفكري الجديد، ومن أهم هذه الملاحظات ما يلي:

- أنه تم ترتيب علم الكلام على نسق من المنطق والفلسفة القديمين، وجرت الأمور على هذا النحو قرونا طويلة دون انقطاع حتى غدا علم الكلام مرادفا لعلم المنطق.

---

(١) أما تفصيل ذلك: فقد نزح كثير من العلماء من بغداد إلى الأستانة عاصمة الخلافة، ورغم أن الأتراك حملوا راية الإسلام وجعلوا من أنفسهم حصنا منيعا للإسلام ضد القوى المسيحية الأوروبية إلا أنهم كانت تنقصهم الميزة العلمية؛ فلم يدركوا أهمية الدراسات والأبحاث العلمية بل ربما نظروا إليها على أنها خطر عليهم لأنهم ظنوا أن انتشار العلم ربما يقلل من ولاء الشعوب لهم؛ فيصعب كبح جماحهم حينئذ، ولذلك كانوا يعادون الأعمال العلمية.

وبينما كان العلماء الذين نزحوا إلى عاصمة الخلافة ينتظرون الحفاوة والتقدير وإغداق الأموال مثل ما كانوا يجدونه من الخلفاء العباسيين، وجدوا الخلفاء الأتراك ينكرونهم ويستنكرون أعمالهم ويحسبونهم وبالا عليهم، حتى أظلمت= =عليهم الدنيا؛ فنزحوا إلى الديار الفرنسية والإيطالية، واستُقبلوا هناك بكل حفاوة وترحيب حيث كانت تلك الديار متعطشة للعلم في تلك الآونة. انظر: البعث الإسلامي ص: ٩٥.

- وضع علم الكلام القديم أبنية الاستدلال على أساس من المنطق والقياس في حين كان القرآن الكريم يعتمد في معظم أدلته على أساس الشواهد الطبيعية كما سنرى بعد قليل.
- كان علم الكلام مفيدا في بابه حيث كان الفكر الإنساني يقوم على القياسات الفلسفية.
- ولكن هذا الواقع تغير في العصر الحاضر حيث وضعت الثورة العلمية الفكر الإنساني على أساس الحقائق المعلومة.
- بناءً على النقطة السابقة حدثت الفجوة التي ربما وصلت إلى حد القطيعة على حد تعبير السيد وحيد الدين خان بين علم الكلام القديم وبين الواقع الفكري، من حيث اعتماد علم الكلام القديم على الاستدلال الفلسفي، في حين أن الواقع الفكري المعاصر يقوم على نمط الاستدلال الطبيعي، وكانت الحقيقة تُبرهن سابقا من خلال منطق القياس، بينما تُبرهن الآن بالشهادات الواقعية والمعرفة العلمية. (١)
- وحتى نصل إلى تحقيق هذا الأمر يجب أن يشمل التجديد المنهج والأدلة والوسائل جميعا فلا يمكن مواجهة مقولات الماديين والملاحدة المعاصرين ودعاوي المستشرقين، وأمثالهم بنظريات وأدلة قديمة، بل لابد من مواجهة الآراء والمذاهب المعاصرة بلغة معاصرة، وطرق متطورة تلائم هذه الأفكار وتناسبها، وهذا ما يؤكده السيد وحيد الدين خان بقوله:" فكلما أردنا مواجهة الأسئلة التي تثار ضد الدين كان لابد من تغيير لهجتنا ولغتنا ...حتى نستطيع أن نقف أمام العواصف، وعلينا ألا ننسى أن طريقة الكلام وأسلوبه قد تغيرا لمواجهة تحدي العصر الحديث.

(١) انظر : البعث الإسلامي ص: ١٠٣.

- وعلينا أن نضع في الاعتبار أن مثل هذا الجهد لن يكتب له النجاح إلا بعد الدراسة العميقة لآراء المخالفين، والإحاطة بدقائقها، حتى لا يتحول الأمر إلى ادعاء يسهل كشفه، أو تعالم هزيل يمكن رده ونقضه، ويترتب عليه تأكيد الشبهات، بدلا من نقضها، وترسيخها بدلًا من إضعافها أو القضاء عليها.

المبحث الثالث: ضوابط تجديد علم الكلام عند وحيد الدين خان – المنهج والأدلة

يعرف السيد وحيد خان علم الكلام الجديد بما يحدد إطاره العام، ووظيفته المرتقبة فيقول: إنه استجلاء حقائق الدين بالأدلة التي تطمئن الذهن الجديد والعقلية الجديدة، وتوصل التعاليم الإسلامية بأحدث أساليب الاستدلال الملائمة للعقل الجديد. (١)

والعقل الجديد الذي يقصده السيد وحيد الدين خان هو العقل العلمي الذي تهمه الحقائق العلمية، وتقنعه الأدلة التي تقام على أساس من التجربة والمشاهدة، لا على أساس من القياس المنطقي، فالإنسان اليوم طبقا للثورة العلمية وما أحدثته من اكتشافات علمية أصبح لا يقبل فكرا إلا إذا عرف أنه يطابق الحقائق الطبيعية. (٢)

-العلاقة بين منهج علم الكلام الجديد وبين القرآن الكريم.

لقد اتضحت وجهة السيد وحيد خان في تجديد علم الكلام وضرورة أن يقوم منهج هذا العلم على الوسائل العلمية، وأن تبنى أدلته على أساس علمي من حقائق الطبيعة.

(١) انظر : البعث الإسلامي ص: ١٠٢.

(٢) انظر: البعث الإسلامي ص: ١٠٣.

ونبحث هنا ما قد يظنه البعض من غرابة بين علم الكلام الجديد وبين الإسلام، حيث يوضح السيد وحيد الدين خان بأن نمط الاستدلال الجديد من حيث الاعتماد على الحقائق الطبيعية وإن بدا جديدا بالنسبة للأديان إلا أنه ليس جديدا ولا غريبا بالنسبة للإسلام، وذلك لأن نمط الاستدلال القرآني نفسه إنما هو نمط الاستدلال بالحقائق الطبيعية، حيث كان الاستدلال بهذه الطريقة هو الأسلوب الذي اختاره الله تعالى لرسله في دعوتهم، فها هو نوح عليه السلام يدعو قومه مستخدما أدلة تثير انتباههم إلى حقائق مشاهدة قال تعالى: { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً }[1]، وها هو إبراهيم عليه السلام يدعو قومه المشركين إلى التوحيد من خلال أدلة مبنية على أمور مشاهدة من الحقائق قال تعالى: { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ }[2] إلى أن وصل بهم إلى مقصوده من إبطال عبادة مثل هذه المظاهر قال تعالى على لسان إبراهيم: { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }[3] ونجد مثل ذلك أيضا في قوله تعالى: { أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ }[4]

حيث توجهنا كل هذه الآيات إلى أن الحجة الإلهية أو الاستدلال الإلهي هو أن يستدل بالحقائق المعلومة المشهودة في هذا الكون، ويزداد هذا الأمر

(١) سورة نوح الآيات رقم: ١٠-١٢.
(٢) سورة الأنعام الآية رقم: ٧٦.
(٣) سورة الأنعام الآية رقم: ٧٩.
(٤) سورة الغاشية الآيات رقم: ١٧-١٨.

وضوحا من قوله تعالى: {هَـذَا كِتَابُنَـا يَنطِـقُ عَلَـيْكُم بِـالْحَقِّ }[١]، وقوله تعالى عن السموات والأرض: { مَـا خَلَقْنَاهُمَـا إِلَّا بِـالْحَقِّ }[٢] فالمتأمل يرى أن القرآن والكون كلاهما مظهر لمشيئة الله تعالى وإرادته، كل ما هنالك أن القرآن صورة كلامية، وأن الكون صورة عملية.[٣]

ويصل السيد وحيد خان من خلال ذلك إلى القول بأن علم الكلام الجديد إنما هو في حقيقته علم الكلام القرآني، وما ذلك إلا لأنه يتبع نفس منهج القرآن الكريم في الاستدلال والحوار مع الخصوم على مشاهدات الطبيعة.

مبادئ علم الكلام الجديد.

ثمة مبادئ عدة يقوم عليها علم الكلام الجديد هذه المبادئ مستنبطة من منهج القرآن الكريم في الاستدلال نلخصها فيما يلي:

- المبدأ الأول: ليس من الضرورة الجواب عن كل سؤال يوجه، ذلك أن هناك أسئلة تكون أجوبتها خارجة عن الحدود المعرفية للإنسان فلا يستسيغ له أن يفهمها، ومن ثم فخير طريق لمثل هذه التساؤلات هو كف صاحبها عن إثارتها، يؤخذ ذلك من منهج القرآن الكريم في الرد على من سأل عن حقيقة الروح في قوله تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً }[٤].
- وكذلك ما بينه الله تعالى من أن آيات القرآن الكريم قسمان، محكم، ومتشابه، والآيات المحكمات أغلبها يتصل بدنيانا ونستطيع فهم مدلولاتها، أما

(١) سورة الجاثية الآية رقم: ٢٩.

(٢) سورة الدخان الآية رقم: ٣٩.

(٣) انظر: البعث الإسلامي وحيد الدين خان ص: ١٠٤.

(٤) سورة الإسراء الآية رقم: ٨٥.

المتشابهات فأغلبها يختص بأمور من الغيب، وقد بين الله تعالى هذه الأمور بأسلوب رمزي مثل قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ}(١)

- وإذا كان الأمر كذلك فإن السعي لفهم مدلول الآيات المحكمات أمر مفيد، ولكن السعي لتعيين مدلول الآيات المتشابهات سيؤدي بالضرورة إلى وقوع الاختلاف بين المسلمين، وقد أكد العلم الحديث هذا الملحظ القرآني من محدودية العلم الإنساني، حيث لا يشك أحد من العلماء في العصر الحديث أن الإنسان لا يتأتى له إحراز كل تفاصيل علم جزئي محدود، وأن العلم الكلي فوق قدرته. (٢)
- المبدأ الثاني: هو الاستدلال على الحقائق بالطرق الطبيعية وقد وردت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ }(٣)
- المبدأ الثالث: هو اتخاذ الأسلوب البسيط، وهو الأسلوب الذي يقرر الحقيقة بأبسط كلام ويخلو عن الزخرفة، وهذا هو الأسلوب الذي استخدمه القرآن الكريم، وهو المناسب للإنسان الذي خلق على فطرة بسيطة، والكلام البسيط السهل يسترعي فطرة الإنسان وينفذ في أعماقه ويسيطر على وجوده، بخلاف الكلام الصناعي المعقد الذي لا تتشربه طبيعة الإنسان ولا يستسيغ أن يهضمه هضما صحيحا، أو لا يستسيغه كلية. (٤)

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم: ٥٤.

(٢) انظر: البعث الإسلامي وحيد الدين خان ص: ١٠٨.

(٣) سورة فصلت الآية رقم: ٥٣.

(٤) انظر: البعث الإسلامي وحيد الدين خان ص: ١١٦.

وعليه فكما يتبين لنا من خلال هذه الرؤية التي يقدمها السيد وحيد الدين خان، فإن علم الكلام لكي يستمر في القيام بمهمته التي نيطت به في الدفاع عن الاسلام، فلابد أن يتصل اتصالا وثيقا بالواقع الفكري والعلمي الذي سيشتبك معه ويحاوره، ويرد على مقولاته ونظرياته التي تختلف عن المسلمات الدينية اختلافا بينا، ولعل بعضها يهدم أو يسعى إلى هدم هذه المسلمات من أساسها، ومن ثم كان على علم الكلام– مع احتفاظه بثوابته ومقاصده –أن يسعى إلى تطوير أدواته وآلياته.

وليس مراد التجديد هدم هذا العلم العريق العتيد، ولا التقليل من شأنه، أو الإزدراء بالجهد الذي قام به علماؤه على امتداد تاريخه الطويل، بل إن المراد هو معاونة هذا العلم على القيام بدوره في مواجهة واقع جديد، يختلف عما سبق له مواجهته، وبهذا التجديد تتحقق له المعاصرة المرجوة التي يؤكد بها أصالته، ويثبت بها مكانته التي اكتسبها قديما بجهود علمائه الأعلام.

المبحث الرابع: توظيف علم الكلام الجديد في نقض دعاوى الإلحاد العلمي.

- **تمهيد حول أهم الأسس التي يقوم عليها الإلحاد العلمي**
- **الأساس التجريبي**
- **الأساس التاريخي**
- **نقض هذه الأسس التي قام عليها الإلحاد العلمي**

- **تمهيد حول أهم الأسس التي يقوم عليها الإلحاد العلمي**

تعتبر التطورات العلمية التي حدثت في القرن الماضي انفجارا علميا بكل المقاييس مكن الإنسان من فهم وتفسير ومعرفة قوانين كثير من الظواهر الطبيعية، وقد تسبب هذا التقدم العلمي في أن يراجع الفكر الحديث قضية الدين، وانتهى من ذلك إلى القول بأن الدين شيء لا حقيقة له، كل ما هنالك أنه كان تفسيرا للظواهر الطبيعية لجأ إليه الإنسان في فترة لم يكن العلم فيها قد تقدم هذا التقدم الذي حدث في الآونة الأخيرة، أما الآن وقد استطاع العلم أن يفسر كل شيء فلم تعد هناك حاجة إلى الدين.

- **الأساس التجريبي**

عرف الاتجاه التجريبي كحركة علمية خلال العقد الرابع من القرن العشرين، وإن كان قد ظهر قبل ذلك بسنين طويلة ونادى به فلاسفة كبار من أمثال ديفيد هيوم[١] وجون استيوارت ميل[٢]، وبرتراند رسل[١] وغيرهم، إلا أنه

---

(١) ديفيد هيوم فيلسوف ومؤرخ وعالم اقتصاد اسكتلندي ولد في أدنبرة ١٧١١ وتفي فيها كذلك عام ١٧٧٦من أشهر كتبه: رسالة في الطبيعة البشرية، فحص عن مبادئ الأخلاق، محاورات حول الدين الطبيعي، وما بين سنة ١٧٥٤ – ١٧٦٢ أصدر كتابه التاريخ الطبيعي للدين فأدرجت الكنيسة جميع كتاباته في لائحة الكتب الممنوعة سنة ١٧٦١ انظر: معجم الفلاسفة لجورج طرابيشي طبعة ثالثة دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت – لبنان ٢٠٠٦م ص ٧٢٦ وما بعدها.

(٢) فيلسوف وعالم اقتصاد انجليزي ولد في لندن عام ١٨٠٦ وتوفي عام ١٨٧٣ وقد دعاه أبوه جون ستوارت باسم اللورد الذي كان مؤدبًا في أسرته، ثقفه أبوه بنفسه، فأبدأه اليونانية في الثالثة من عمره، وما بلغ الثامنة حتى كان يقرأ هريودوت ومذكرات سقراط لأكسانوفون وتراجم الفلاسفة لديوچني لايرث بلً بعض محاورات أفلاطون، وقد نشر كتبًا عدة نذكر أهمها: كتاب «المنطق القياسي والاستقرائي» وكان له صدى كبيرا في أوروبا؛ و«مبادئ الاقتصاد السياسي» جعل فيه من هذا العلم جزءًا من علم الاجتماع، انظر: معجم الفلاسفة لجورج طرابيشي ص: ٦٣٨، وتاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم طبع مؤسسة هنداوي سنة ٢٠١٢ ص:٣٦٣.

أصبح في القرن العشرين من أهم الحركات العلمية الحديثة، وربما يرجع ذلك إلى العدد الكبير من المؤسسات العلمية التي قامت بدورها في الدعاية له.

يقوم هذا الاتجاه على أساس أن المعرفة الحقة هي تلك التي ترتبط بالتجربة بحيث يمكن فحصها بصورة مباشرة أو غير مباشرة. (٢)

موقف هذا الاتجاه من الدين:

عندما قصر هذا الاتجاه المعرفة اليقينية على المعرفة التي أتت عن طريق الملاحظة والتجربة فإنه نظر إلى الدين على أنه شيء لا حقيقة له، من حيث هو قائم على قضايا لا تخضع للملاحظة، ولا يمكن التحقق منها تجريبيا، وربما نظر هذا الاتجاه إلى الدين على أنه مظهر لغريزة إنسانية هدفها البحث عن حقائق الكون، حاول الإنسان من خلال هذه الغريزة أن يفسر حقائق الكون، وهذه الغريزة وإن كانت في ذاتها شيئا مستحسنا إلا إنه بسبب ضعف العلم ونقص الإمكانات لدى القدماء فقد أدت بهم إلى إجابات غير صحيحة، هذه الإجابات هي التي تحتويها الآن أفكار الناس عن الدين وعن الإله.

ووفقا لهذا الاتجاه فقد حان الوقت بعد الاكتشافات العلمية أن يراجع الفكر الحديث كل الأفكار التي اعتقدها الإنسان تحت اسم الدين، وفي ذلك يقول

=

(١) فيلسوف انجليزي ولد في رافنسكروفت ببريطانيا ١٨٧٢ وتوفي في مقاطعة ويلز ١٩٧٠م أبدى رسل في سن مبكرة عن ميل للرياضيات ودرس الفلسفة متأثرا يومئذ بهيجل وتمرس في كامبردج بأرفع اشكال المنطق ونظرية العلم، من أهم كتبه: كتاب «فلسفة ليبنتز» و«مبادئ الرياضيات» و«مسائل الفلسفة» و«معرفتنا بالعالم الخارجي» ومدخل إلى الفلسفة الرياضية» انظر: معجم الفلاسفة لجورج طرابيشي ص: ٣١٧، وتاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم طبع مؤسسة هنداوي سنة ٢٠١٢ ص:٤٥٧.

(٢) الاسلام يتحدى وحيد الدين خان ترجمة ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق د. عبد الصبور شاهين ط. مكتبة الرسالة بدون ص: ١٢

أوجست كونت[١] "إن الاعتقادات في ذوات عاقلة، أو إرادات عليا لم يكن إلا تصورا نخفي وراءه جهلنا بالأسباب الطبيعية، أما الآن وكل المتعلمين من أبناء المدينة الحديثة يعتقدون بأن كل الحوادث العالمية والظواهر الطبيعية لابد لها من أن تعود إلى سبب طبيعي، وأنه من المستطاع تعليلها تعليلا علميا مبناه العلم الطبيعي ... فلم يبق فراغ يسده الاعتقاد بوجود الله، ولم يبق من سبب يدعونا إلى الإيمان به"[٢]

تلك هي الدعوة التي وجهها الاتجاه التجريبي إلى الدين مستهدفا بها أصله وأساسه الذي يبنى عليه وهو قضية وجود الله تعالى، ولئن حاولت من جهة الدفاع عن الدين أن تقول إن الأفكار الدينية تمتد إلى تاريخ طويل، ترجو من ذلك إضفاء صفة الثبات والخلود عليها، لقال لك قائل العلم الحديث الأمر على عكس ما ترجو فإن ذلك التاريخ الطويل يطبع هذه الأفكار بطابع الشيخوخة والهرم، وينذر بأن مصيرها إلى الاضمحلال والفناء. [٣]

---

(١) أوغست كونت عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي، أعطى لعلم الاجتماع الاسم الذي يعرف به الآن، وهو من أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة، إلا أن كتاباته كانت على جانب عظيم من التأمل الفلسفي، ويعد هو نفسه الأب الشرعي والمؤسس للفلسفة الوضعية، وهو تلميذ الفيلسوف الفرنسي هنري دو سان سيمون، ومن أهم كتبه (مذهب في السياسة الواقعية)، و كتاب في علم الاجتماع يضع ديانة الإنسانية» (١٨٥١–١٨٥٤ في ٤ مجلدات)، واختصره في كتاب «التعليم الديني الواقعي«انظر معجم الفلاسفة لجورج طرابيشي ص: ٥٤٠، وتاريخ الفلسفة الحديثة أ. يوسف كرم ص: ٣٣٠

(٢) الاسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة د. يحي هاشم فرغل ط دار المعارف بدون ص: ٥، الاسلام يتحدى ص: ١١.

(٣) الاسلام يتحدى: ص: ١٢

ومن منطلق نظرة هذا الاتجاه إلى الدين على أنه تفسير زائف لحقائق الكون فإنه يرى أن التطور العلمي الذي وصل إليه الإنسان من شأنه أن يؤدي إلى زوال ونفي الدين من تلقاء نفسه، وربما دعم هذا الاتجاه كلامه هذا بأن الدين إذا كان ينظر إلى النجوم والكواكب على أنها ممسوكة بقدرة إله فإن اكتشاف نيوتن[١] لقانون الجاذبية قد نفى مثل هذا الكلام، وقل مثل ذلك في كل الأحداث الكونية التي اكتشف العلم الحديث القوانين التي تسير عليها. [٢]

ويترجم "هكسلي"[٣] ذلك في عبارة مختصرة فيقول: " إذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية، فلا ينبغي أن ننسبها إلى أسباب فوق الطبيعة " [٤]

(١) السير إسحاق نيوتن: (١٦٤٢-١٧٢٧) عالم إنجليزي يعد من أبرز العلماء مساهمة في الفيزياء والرياضيات عبر العصور وأحد رموز الثورة العلمية هو ثاني أستاذ لوكاسي للرياضيات في جامعة كامبريدج أسس كتابه الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية، وربما كان هذا أهم عمل فردي يُنشر على الإطلاق في العلوم الطبيعية نشر لأول مرة عام 1687، لمعظم مبادئ الميكانيكا الكلاسيكية كما قدم نيوتن أيضًا مساهمات هامة في مجال البصريات، وشارك لايبنتز في وضع أسس التفاضل والتكامل صاغ نيوتن قوانين الحركة وقانون الجذب العام التي سيطرت على رؤية العلماء للكون المادي للقرون الثلاثة التالية حتى حلت محلها نظرية النسبية كما أثبت أن حركة الأجسام على الأرض والأجسام السماوية يمكن وصفها وفق نفس مبادئ الحركة والجاذبية وعن طريق اشتقاق قوانين كبلر من وصفه الرياضي للجاذبية، أزال نيوتن آخر الشكوك حول صلاحية نظرية مركزية الشمس كنموذج للكون نفسه. انظر معجم الفلاسفة لجورج طرابيشي ص٦٨٤.

(٢) الاسلام يتحدى: ص: ١٢.

(٣) هكسلي: عالم أحياء وفيلسوف انجليزي ولد في لندن ١٨٨٧ وتوفي فيها ١٩٧٥درس في ايتون واكسفورد ودرَّس علم الاحياء وعلم الحيوان وعلم وظائف الأعضاء في الجامعات البريطانية، من أهم مؤلفاته: علم الحياة ومسائل النمو النسبي، الدين بلا وحي. انظر معجم الفلاسفة لجورج طرابيشي ص٧٠٥.

(٤) الاسلام يتحدى: ص: ١٤.

نستطيع القول بناء على ذلك بأن هذا الاتجاه يتبنى دعوة مزدوجة، أو دعوة ذات وجهين أحدهما يقرر أن تحصيل الإنسان للمعرفة اليقينية لا يكون إلا بالتجربة وحدها، فالحس وحده هو مصدر المعرفة الحقيقية وفي عالم الحس تكمن حقائق الأشياء، والوجه الآخر يقرر أن انتزاع المعرفة مما وراء الطبيعة والبحث عن العلة في هذا المجال يجب أن يرفض لعدم التمكن من إخضاعه للتجربة أو الملاحظة، ومن ثم فإن كل نظرية أو فكرة عن وجودٍ له طابع الحقيقة واليقين فيما وراء الحس هي نظرية باطلة أو فكرة مستحيلة. (١)

وسائل المعرفة في هذا الاتجاه:

يقدم هذا الاتجاه التجربة على أنها الوسيلة الوحيدة للفكر البشري للوصول إلى الحقائق اليقينية وعليه " فأي معرفة لم يتم التحقق منها تجريبيا فهي لا تعدو أن تكون محض عقيدة ذاتية ولا تصبح حقيقة إلا إذا تم إثباتها خارج عالم العقيدة الداخلي".(٢)

تأصيل هذا المنهج في الفكر الأوروبي:

ترجع أصول هذا الاتجاه التجريبي كما يقرر الباحثون بحق إلى الفلسفة الوضعية التي أرسى دعائمها أوجست كونت(٣)

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د/ محمد البهي طبع مكتبة وهبة الرابعة بدون ص: ٢٧٥، تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ط مؤسسة هنداوي بدون ص: ٣٣٣.

(٢) الدين في مواجهة العلم وحيد الدين خان ترجمة ظفر الإسلام خان، مراجعة د. عبد الحليم عويس ط. دار النفائس بيروت ط. أولى سنة ١٤٠١ هـ ص: ١١.

(٣) الدين في مواجهة العلم وحيد الدين خان ص: ١١.

وخلاصة هذه الفلسفة هي أن العقلية الإنسانية قد مرت بثلاثة أدوار أو أطوار هي: طور الفلسفة الدينية، وطور الفلسفة الميتافيزيقية، وأخيرا طور الفلسفة الواقعية وهذا الطور الأخير هو آخر الأطوار وأسماها كما سنرى عما قليل.

- **الأساس التاريخي:**

المراحل الثلاث التي مر بها التاريخ البشري أو العقلية البشرية:

المرحلة الأولى: هي تلك المرحلة التي كان الإنسان يفسر فيها الأحداث تفسيرا إلهيا بإضافتها إلى الإله.

المرحلة الثانية: وتسمى المرحلة الميتافيزيقية وهي تلك المرحلة التي كان يفسر فيها الإنسان الأحداث باسم عناصر خارجة عن الطبيعة لا يعلم حقيقتها ولكنه استعاض بها عن ذكر الإله.

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة الوضعية أو الواقعية وفيها أخذ الإنسان بسبب ما حصل له من العلم والتقدم المعرفي والاكتشافات التي حققها في الوسائل العلمية، أخذ يفسر فيها الحوادث باعتبارها عناصر خاضعة لقوانين عامة يمكن إدراكها بالمشاهدة العلمية، وفي هذه المرحلة لا تذكر الأرواح ولا يذكر الإله ولا القوى المطلقة، وإنما تذكر القوانين.[١]

وكأننا بمذهب الوضعية المنطقية ينظر إلى أن كلا من اللاهوت والفلسفة الميتافيزيقية قد استنفذتا موضوعاتهما وافتقدتا ما يبرر وجودهما؛ إذ أن قيامهما كان بديلا عن العلم أو مرادفا له ولكن العلم الآن قد انفصل عنهما موضوعا ومنهجا وأصاب من النجاح ما لم يقدر شيء منه لهما.[٢]

---

(١) انظر: وتاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص: ٣٣٢، الاسلام يتحدى ص: ١١.

(٢) الاسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة ص: ١١و ١٢، وتاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص: ٣٣٣.

يقول أ. يوسف كرم ملخصا: يرى المذهب الواقعي أن الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعة المحسوسة وما فيها من علاقات أو قوانين، وأن المثل الأعلى لليقين يتحقق في العلوم التجريبية، وإنه يجب العدول عن كل بحث في العلل والغايات وما يسمى بالأشياء بالذات. (١)

وينتهي هذا القانون كما يقرر يوسف كرم أيضاً إلى القول بأنه كلما أمكن معالجة المسألة بالملاحظة والاختبار انتقلت هذه المسألة من الفلسفة إلى العلم، واعتبر الحل الذي يقدمه لها العلم حلا نهائيا، أما المسائل التي لا تقع تحت الملاحظة فهي خارجة عن دائرة العلم ويدل تاريخها على أنها لم تتقدم خطوة واحدة منذ أن وضعت فهو ينطق بأنها غير قابلة للحل. (٢)

أصول هذا القانون:

يرى المحققون في المجال الفلسفي أن هذا القانون قد تكهن به كثيرون قبل أوجست كونت مثل تيرجو، وكوندرسيه، وبيران، بل حددت صيغته منذ القرن الثامن عشر تقريبا وإذا كان الأمر كذلك فكيف نسب إلى أوجست كونت خاصة؟

يقول ليفي بريل (٣) في توضيح نسبة كونت هذا القانون إلى نفسه لعلنا نسلم له بذلك لا على أساس أنه هو الذي استخلصه من الظواهر قبل غيره، ولكن على أساس أنه تعرف فيه على القانون الأساسي الذي يسيطر على التطور

---

(١) الاسلام يتحدى ص: ١١.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص: ٣٣٣، عقائد المفكرين في القرن العشرين عباس العقاد ص: ٢٣، الاسلام يتحدى وحيد الدين خان ص: ١٢.

(٣) لوسيان ليفي–بريل (١٨٥٧ – ١٩٣٩)، فيلسوف وعالم اجتماع، وأثنولوجي فرنسي له بحوث في العقلية البدائية كان أستاذاً بجامعة السوربون منذ ١٨٩٩، أهم كتبه «الوظائف العقلية في المجتمعات البدائية» ١٩١٠، و«العقلية البدائية» ١٩٢٢، وللأخير ترجمة عربية.

العام للإنسانية، كما أدرك أهميته الرئيسية في قيام الفلسفة الوضعية التي تحل محل اللاهوت والميتافيزيقا. (١)

خطورة هذا المنهج:

تتلخص خطورة هذا المنهج الذي قدمه أوجست كونت في أنه يمثل منطق التطور التاريخي الحاسم الذي يصبح الدين والميتافيزيقا بمقتضاه أثرا من آثار القرون السالفة قضت نحبها بسبب سيادة العلم وقوانين الطبيعة، وبالتالي يوعز لمن أراد أن يدافع عن قضايا الدين بغرض إثباتها بأنه يقوم بعمل من الأعمال المضادة لطبائع الأشياء، وإن شئت قلت كأنه يدعو إلى رجوع العقل إلى عصور التخلف والظلام. (٢)

نقد هذا القانون:

تناول وحيد الدين خان هذا القانون بالنقد من جهتين إحداهما نقد القانون الذي نظر أوجست كونت من خلاله إلى تاريخ العقل الإنساني، والأخرى من خلال زعمه أن لا معرفة حقيقية إلا ما جاء عن طريق التجربة والملاحظة.

أما أولا: فلقد وجهت سهام النقد إلى هذا القانون الذي ذكره أوجست كونت والذي هو أساس الاتجاه التجريبي ومن هذه النقود ما يلي:

أولا: نقطة الخطأ البارزة في هذا القانون هي أن أنصاره جعلوا منه قانونا عاما يستوعب التاريخ كله في شرط واحد، قطعت منه الإنسانية ثلثيه بالفعل ونفضت أو كادت تنفض يديها منهما إلى غير رجعة، ولو أنهم جعلوا منه سلسلة دورية كلما ختمت رجعت عودا على بدء ربما كان الخطأ حينئذ أقل شناعة،

---

(١) الاسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة ص: ١٣، وانظر فلسفة اوجست كونت ليفي بريل ترجمة د/ محمود قاسم ود/ السيد محمد ط مكتبة الانجلو المصرية بدون بدوي ص: ٣٤،٣٥ والاسلام يتحدى ص: ١١،١٢.

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص: ٣٣٣، ٣٣٤.

ولكنه بعد ذلك يظل دعوة غير مسلمة لا لأنها مجردة عن البرهان فحسب، بل لأنها تحرف التاريخ وتصادم العيان، فنحن كما يقول الباحثون بحق ما زلنا نسمع ونرى في كل عصر تقديسا للروحانيات وشغفا بالمعنويات والمعقولات الكلية عند فريق من الناس إلى جانب الكلف بالحوادث والحقائق الجزئية عند فريق آخر، وليس الحد الفاصل بين الفريقين هو جهل أحدهما بالتجارب الكونية، وعلم الآخر بها، اذ كثيرا ما تجد من بين الجهلاء جاحدين متعصبين، كما تجد من بين علماء المادة مؤمنين متحمسين.(١)

وليس أدل على هذا الكلام من أننا نجد في القرن العشرين وفي قلب الحضارة الأوروبية دراسات روحية واسعة تقوم بها جماعات محترمة من كبار علماء الطب والفلسفة الطبيعية على منهاج علمي دقيق وبأسلوب برهاني يعتمد على التحليل والتقدم الصارم. (٢)

ثانيا: عند التأمل في المراحل التي ذكرها القانون نجد أنها لا تمثل أدوارا تاريخية متعاقبة، بل في الحقيقة هي تصوير لنزعات وتيارات متعاصرة في كل الشعوب، وليست كلها على درجة واحدة من الازدهار والخمول في شعب ما.

ثالثا: لو دققنا النظر لربما قلنا إن هذه النزعات الثلاث متعاصرة متجاورة في نفس كل فرد وإن لها وظائف يكمل بعضها بعضا في إقامة الحياة الإنسانية على وجهها، ولكل واحدة منها مجال يوائمها.(٣)

رابعا: عند التأمل بشكل أكثر نجد أن المراحل التي يقررها القانون معكوسة ومناقضة للواقع، فالنظرة الواقعية هي الأقرب أن تكون المرحلة الأولى لا الأخيرة، وإنها تمثل مرحلة الطفولة المعرفية لا مرحلة النضج والكمال، وذلك لأن مبعثها

(١) الدين د. محمد عبد الله دراز ط مكتبة دار القلم بدون ص: ٨٤.

(٢) السابق ص: ٨٤.

(٣) السابق ص: ٧٤.

الحاجة العاجلة، وضرورة الحياة اليومية، أضف إلى ذلك أنها وظيفة الحس لا العقل، وإنها من معدن القابلية والانفعال، لا من معدن الفاعلية والإنشاء، أما نظرة التعليل بالمعاني العامة فإنها تنبثق في النفس على إثر ذلك متى استيقظت ملكتا التجريد والتعميم في التصورات والأحكام، فلا يكتفي الذهن حينئذ بجمع الحوادث المترابطة في سلسلة متعاقبة، بل يحاول ربطها برباط معنوي تدور في فلكه كالسلك الداخلي الذي ينظم حبات العقد، بقيت بعد ذلك النظرة الروحية أو الدينية وواضح أنها لا تولد في النفس إلا حينما يتسع أفقها فيتجاوز الأسباب القريبة ويتجاوز التعليل بالمعنى، بل نقول يتجاوز الكون كله ظاهره وباطنه إلى ما وراءه، وكأنها قد نظمت الكون كله بأحداثه ووقائعه في نظم واحد، فوجدت أنه ليس كفيلا بتفسير سبب وجوده، ولا نظامه فاستشرفت إلى ما وراءه إلى فاعله وموجده إلى الخالق سبحانه، ومن ثم فإنك لو تأملت لوجدت أن النظرة الدينية هنا هي أوسع النظرات مجالا، وأبعدها مطلبا.[١]

وهكذا ينقلب الترتيب الذي ذكره الفيلسوف رأسا على عقب وتعود الحاجات النفسية الثلاث إلى أوضاعها الطبيعية المعقولة، حاجة الحس فحاجة العقل فحاجة الروح، وإن شئت قلت حاجة الحس فحاجة العقل القانع فحاجة العقل المتسامي.. [٢]

خامسا: كما أنه لا توجد أمارة واحدة تدل على قرب زوال النزعة الاستقرائية أو التعليلية فكذلك لا نرى أمارة تدل على أن فكرة التدين ستزول من الأرض قبل أن يزول الإنسان، وقد أكد ذلك كبار العلماء والمفكرين يقول سالمان ريناك ليس أمام الديانات مستقبل غير محدود فحسب، بل لنا أن نكون على يقين

(١) الدين د. محمد عبد الله دراز ص: ٨٥.

(٢) السابق ص: ٨٥.

من أنه سيبقى شيء منها أبدا، ذلك لأنه سيبقى في الكون دائما أسرار ومجاهل، ولأن العلم لن يحقق أبدا مهمته على وجه الكمال. (١)

ويقول أرنست رينان(٢) في تاريخ الأديان إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضايق الدنيئة الأرضية. (٣)

ويعلق صاحب دائرة معارف القرن العشرين على كلام أرنست رينان السابق قائلا: نعم يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين من النفس لأنها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها، بل على العكس فإن فطرة التدين ستلاحق الإنسان مادام له عقل يدرك به الجمال والقبح، بل إن هذا الميل إلى التدين سيزداد كلما زادت علوم الإنسان ونمت معارفه. (٤)

النفس الإنسانية لا يشفيها الوصول إلى الأسباب والمقدمات:

ما ذكرناه في السطور السابقة من اهتمام العلوم الطبيعية بقضية القانون والسبب محاولة منها لتفسير الحوادث إنما هو في الحقيقة وقوف عند أحد طرفي المحور مستدبرة الطرف الآخر، فليس يكفي النفس الإنسانية أن تصعد لتعرف

(١) الدين ص: ٨٦.

(٢) أرنست رينان مؤرخ وكاتب فرنسي (١٨٢٣-١٨٩٢) اشتهر بترجمته ليسوع التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقدًا تاريخيًا علميًا وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والعناصر الأسطورية الموجودة في الكتاب المقدس ما أدّى إلى قيام الكنيسة الكاثوليكية بمعارضته انظر: معجم الفلاسفة لجوروج طرابيشي ص: ٣٣٩.

(٣) الدين ص: ٨٦.

(٤) دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدي ط دار الفكر بيروت بدون ج١١١/٤.

أسباب الحوادث ومقدماتها بل لابد لها من أن تتحدر معها إلى غاياتها ونهاياتها وتستغرق مقاصدها وأهدافها.

فليس يكفيك لكي تحيط بالشيء خبرا أن تعرف نشأته دون أن تعرف مصيره، ولا أن تعرف كيف كان دون أن تعرف لم كان؟ فهذا شيء مركوز في الجبلة الإنسانية فما هو موقف العلوم الطبيعية الحديثة من هذه الضرورة الملحة؟

لقد أتى على العلوم الطبيعية حين من الدهر أعلنت فيه أنها إنما يعنيها اكتشاف علاقة السببية بين الظواهر ومعرفة اطرادها على نسق معين، وليس يعنيها بل ليس يدخل تحت قدرتها أن تتبين أن هذا الارتباط مقصود لغاية؟ ولا ماهي تلك الغاية؟

وهذه شهادة من تلك العلوم على نفسها بأنها لن تفي بحاجات العقول، ولن تقدم ما يشفي النفس عن أسئلتها الملحة من مقاصد الظواهر وغاياتها.

ولكن العلوم لم تكن لتدوم على هذا الموقف طويلا فإن العلم الطبيعي بما هو إنساني لا يستطيع أن يهمل هذا الجانب من مطالبه العقلية.

ولذلك نرى العلوم كلما وصلت إلى مجموعة من الظواهر التي يخدم بعضها بعضا تعود إلى البحث في العلل الغائية من غير أن تسميها باسمها فيسأل العلم عن كل خلية في العضو وعن كل عضو في الجهاز، وعن عمل كل جهاز في الجسم، ويسمي هذه الأعمال بالوظائف بدلا من اسم الغايات والمقاصد.

والمهم ليس الأسماء وإنما تلك الحقائق التي يعترف بها العلم اعترافا عمليا صامتا، والأهم من ذلك هو أن العلم كلما جد في سيره لا يلبث أن يجاوز بضع خطوات حتى يقف عجزا واعترافا بأن أمامه ستارا كثيفا يحول دون النظر في

الغايات والمقاصد القصوى والنهايات الأخيرة التي لا يزال يتشوف إليها ولا يدركها. (١)

تدلنا تلك المناقشات السابقة على أن نهاية العلم البشري ليست إطفاء غريزة التدين، أو القضاء على الدين بل على العكس ستزيد اكتشافات العلم تلك الغريزة توقدا، وتمكن للدين بصورة أكبر، يقول د. محمد عبد الله دراز عن نزعة التطلع إلى معرفة المبدأ والمصير إنها بنت الغريزة والجبلة، ولذلك فإن إنكارها يمثل نكسة في فطرة الإنسان يرده إلى مستوى الحيوان الأعجم، ولا نقول إلى مستوى الطفولة الغافلة فإن كثيرا من الأطفال ذوي الفطرة السليمة لا يقنعون بالأمر الواقع المشاهد ولا يقفون في تعليله عند حلقة من حلقات أسبابه الأولى بل يسترسلون في تعرف نتائجه الأخيرة، وإذا كانت غريزة التطلع هذه هي مبدأ مشترك بين العلم والإيمان فإن الذي يقف بها عند حدود الواقع الحاضر ليصد الإنسانية عن سبيل الكمال، فضلا عن أنه يقاوم طبيعة الأشياء ، ويحاول تبديل الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

والعقول حين تنفذ بنورها من نطاق هذا العالم الحسي سعيا إلى الاطلاع على مبدئه ومصيره ليست على درجة واحدة في هذا السعي فهناك العقل القانع الذي يقف عند أدنى مبادئ الغيب وأقرب غاياته، وأما العقول الواعية فإنها تسعى إلى هدفها على بصيرة وترى أن مطلبها أسمى من أن تحده حدود المكان أو تقيده قيود الزمان حتى لو جمعت لها العلوم ما تستطيع جمعه من متع بدنية وعقلية فإنه سيبقى أمامها في طرفي الوجود شيء لا تفسره العلوم، ولن ينحسم عنها اللجاج في الطلب إلا بحقيقة هي الإنية الأولى واللمية الأخيرة لكل الحقائق،

(١) الدين د/ محمد عبد الله دراز طبع دار الفكر ضمن بحوث ممهدة لدراسة الأديان ص: ٩٢،٩٣.

إن العقول الواعية وهي في سعيها لتحقيق هذا المطلب الغريزي لا ترضى بآحاد القوانين حتى تسمو إلى قانون القوانين، بل إنها لتستشرف إلى اليد التي جمعت تلك القوانين ونسقتها، وجعلتها تتعاون على أداء الوظيفة المشتركة لهذا البنيان الكوني، إن هذه الحقيقة التي تستشرف النفس الإنسانية للتطلع إليها هي تلك الحقيقة التي تفردها الأديان العليا بالتقديس، ولا تنكرها سائر الأديان وإن أشركت معها في هذا التقديس بعض الحقائق الجزئية الفانية. (١)

وإذا كان قد أصبح من المقرر لدى هذا الاتجاه التجريبي أن عقائد الدين تقوم على إثبات حقائق وراء عالم الحس ووراء الطبيعة، ومثل هذه الحقائق لا يمكن إخضاعها للتجربة والمشاهدة ومن ثم فإن هذا الاتجاه ينظر إلى الدين على أنه قد بني على قياس واستقراء وهذا ما يجعله باطلا لأنه ليس له أساس علمي.(٢)

فلمناقشة هذا الاتجاه في قصره المعرفة اليقينية على التجربة والملاحظة وحدها يقتضي ذلك توجيه عدد من الأسئلة على النحو التالي:

- ما هي القوانين الطبيعية التي يقوم عليها العلم الحديث
- هل توصل العلم الحديث إلى كل معارفه عن طريق التجربة والمشاهدة فقط؟ أو بمعنى آخر ألم يستخدم العلم الحديث طرق القياس والاستنباط كوسيلة للمعرفة؟
- هل حقائق العلم تنحصر في الأمور التي شوهدت وجربت فقط؟ أم أن هناك أمورا أخرى لم تشاهد وداخلة في نطاق العلم، وإذا كان كذلك فبأي معيار دخلت مثل هذه الأمور؟

(١) الاسلام يتحدى ص: ٣٨.

(٢) الدين د/ محمد عبد الله دراز ص: ٩٥،٩٦.

- كم تمثل نسبة الأمور التي خضعت للتجربة والمشاهدة بالنسبة للأمور التي لم تجرب ولم تشاهد من حقائق الكون؟
- ما هي الوسيلة التي جعلت العلم الحديث يسلم بحقيقة الأمور التي لم تخضع للتجربة ولا للمشاهدة؟
- ما حقيقة النظريات العلمية التي يقوم عليها العلم الحديث؟

وطرحُنا لهذه التساؤلات مشروع لأن الأمر الذي يتناوله العلم الحديث قد يكون قابلا للمشاهدة والتجربة بشكل كلي، وقد لا يكون قابلا لذلك إلا بشكل جزئي ومع ذلك رأينا العلم الحديث يقرر معرفته به ووقوفه على القانون الذي يحدث طبقا له.

أولا: مناقشة القول بقوانين الطبيعة:

أولا: دعوى العلم الحديث أن الحوادث التي تحدث في الكون إنما تحدث طبقا لقوانين طبيعية، وعليه فليس هناك حاجة في أن نفترض نسبة هذه الحوادث إلى إله.

والرد على ذلك يتلخص في أن الطبيعة نفسها حقيقة من حقائق الكون، ومن ثم فهي الأخرى بحاجة إلى تفسير، وليست هي تفسيرا للكون، ولتوضيح ذلك فإذا كان العلم الحديث قد استطاع أن يكشف ارتباط الحوادث بعضها ببعض، فإن ذلك يعد تفصيلا وتفسيرا لما يحدث وليس تفسيرا لماذا يحدث، في حين أن الدين جواب لسؤال آخر، إنه جواب يكشف الحقيقة التي وراء الكون، والتي تُوقفنا على لماذا يحدث ذلك الارتباط بين الحوادث الذي اكتشفه العلم الحديث.

ويمكن لنا أن نسوق مثالا يوضح هذا الكلام يقول البروفيسور بايس هامان – وهو أستاذ أمريكي في البيولوجيا: – كان يُنظر إلى الغذاء في صيرورته جزءا من الجسم على أنه من فعل الإله، وأصبحت هذه العملية اليوم بالمشاهدة

والتطور العلمي تفسر بأنها تخضع لما يسمى بالتفاعل الكيميائي داخل الجسم، فهل يبطل هذا الفهم وجود الإله؟

وما ذكره "بايس" يوضح أن ما يكتشفه العلم الحديث هو تفسير لما يحدث، ولكنه لا يستطيع الإجابة عن تساؤل لماذا يحدث، ولذلك يقول بايس بعد كلامه السابق فقد صار حتما علينا بعد هذه المشاهدات أن نؤمن بأن الله يعمل بقوانينه العظمى التي خلق بها الحياة. (١)

وقل مثل ذلك في كل الحوادث التي اكتشف العلم الحديث القوانين التي تخضع لها من نزول المطر، أو حركة الكواكب، وغيرها، إنه لا يشك عاقل أن العلم قد أبان لنا الكثير من العلل والأسباب في مظاهر الكون، والتي لم نكن على علم بها، ولكن ذلك لا يغني عن الدين، فالدين جواب لسؤال آخر ولا يتعارض مع العلم، ولا يتصادم مع هذه الاكتشافات الحديثة، وذلك لأن الدين يشرح الكون شرحا كليا ويبين سبب وجوده وغايته، وليس للعلم صلاحية في ذلك.

إن الكون إذا اعتبرناه آلة كبيرة ذات أجزاء متماسكة، يربط بينها علاقات وثيقة، فهل إذا تناولها العلم الحديث واكتشف تلك العلاقات التي تربط بين هذه الأجزاء، وبيَّن كيف يقوم كل جزء منها بوظيفته، هل يحق لهذا العلم بهذه المعرفة أن يدعي أن هذه الآلة قد وجدت من تلقاء نفسها، أو أنها لا فاعل لها، فبأي وسيلة معرفية يتأتى له هذا الحكم؟

فإذا كان القانون الذي يخضع له عمل الآلة يحتاج إلى من يكتشفه ويظهره، فكيف بالآلة نفسها التي تحمل هذا القانون؟!!

(١) الاسلام يتحدى ص: ٢٠،٢١.

ثانيا: هل اقتصر العلم الحديث في كل معارفه على التجربة والمشاهدة فقط؟ ألم يستخدم العلم الحديث القياس للوصول إلى المعرفة؟

وللجواب على ذلك عندما نتتبع معارف العلم الحديث نصل إلى قناعة بأن الملاحظة والتجربة ليستا الوسيلتين الوحيدتين للمعرفة اليقينية، وذلك لأن العلم قد يتناول موضوعا غير قابل لأن يشاهد ويجرب بشكل كلي، وذلك مثل موضوع كروية الأرض، حيث لا يمكن للإنسان مشاهدة الأرض بشكل كامل، ولكن يستطيع مشاهدة أجزاء منها، فكيف حكم العلم على الأرض حكما كليا بأنها كروية في حين أنه لم يشاهد إلا أجزاء منها فقط؟

هنا يقرر وحيد الدين خان أن العلم الحديث يلجأ في هذه الحالة إلى إضافة مستوى جديد لمعيار المشاهدة والتجربة هذا المستوى يقضي بأن المعرفة تكون حقيقية ويقينية حتى ولو شوهدت بعض جوانب التجربة التي تؤكد وجود حقيقة ما، ومعنى هذا الكلام أنه ليس شرطا في اعتبار المعرفة اليقينية التي يقوم عليها العلم الحديث أن نجرب ونشاهد كل أجزاء هذا الشيء بل يكفي مشاهدة وتجربة بعض أجزاء هذا الشيء. (١)

وقل مثل ذلك في تسليم العلم الحديث ويقينه بوجود ما يسمى بالإلكترون فهو شيء لا تمكن رؤيته، إلا أن له آثارا تدل على وجوده، ويمكن مشاهدتها في صورة تجارب قابلة للتكرار والإعادة، ولا يمكن تفسير هذه التجارب إلا بالتسليم بوجود ما يسمى بالإلكترون، نستنتج من ذلك أن الشي قد يكون بحيث لا يخضع لمشاهدة، ولا لتجربة ذاتية ومع ذلك يسلم العلم بوجوده ويعتبره حقيقة علمية. (٢)

(١) الدين في مواجهة العلم ص: ١١.

(٢) الدين في مواجهة العلم ص: ١٢، الاسلام يتحدى ص: ٤٠.

ومن المهم هنا القول بأن العلم الحديث يضم نوعين من الحقائق أحدهما حقائق تعرفنا عليها مباشرة، والآخر حقائق لم نتعرف عليها مباشرة، وسبيل العلم في النوع الأخير هو الاستنباط، والأهم من ذلك هو أنه لا فرق بين الحقيقتين تلك التي عرفناها مباشرة أو عرفناها لا مباشرة فالحقيقة هي الحقيقة. (١)

وما دام العلم يجمع بين معارفه حقائق لم تشاهد ولم تجرب فإن ذلك يدعونا للتساؤل التالي:

ثالثا: كم تمثل نسبة الأمور التي خضعت للتجربة والمشاهدة بالنسبة للأمور التي لم تجرب ولم تشاهد من حقائق الكون؟

ويجيبنا على ذلك البروفيسور أ.ي ماندير موضحا أن حقائق الكون لا تدرك الحواس منها غير القليل. (٢)، ومعنى ذلك أن النسبة الأكبر من حقائق الكون لا تخضع لحواسنا ولا لتجاربنا، فما هي وسيلة العلم للوصول إلى معرفتها؟

ليس أمام العلم الحديث إلا الاستنباط والتعليل، يقول ماندير عن الاستنباط أو التعليل إنه منهج فكري نبتدئ فيه من حقائق معلومة، حتى ننتهي إلى وضع قانون أو نظرية تنطبق على ما شاهدناه ومالم نشاهده.

ولكن ما الضمان الذي يجعل الانتقال من معرفة الأمر المشاهد إلى معرفة غير المشاهد صحيحا؟

يجيب ماندير إن ذلك المنهج التعليلي صحيح لأن الكون نفسه عقلي، ترتبط أجزاؤه بعضها ببعض، وأي دراسة للكون لا تسفر عن هذا الترابط بين أجزاء الكون فهي دراسة باطلة.(٣)

---

(١) الاسلام يتحدى ص: ٤١.

(٢) الاسلام يتحدى ص: ٤١.

(٣) الاسلام يتحدى ص: ٤١ .

إن العلم حين يأخذ بمبدأ الاستنباط والقياس إنما هو مضطر لذلك لأنه لو اقتصر على ملاحظة وتجريب الوقائع المحسوسة كل واقعة على حدة فإنه سيجتمع لديه كم هائل من الملاحظات والمشاهدات التي لا رابط بينها، وحينئذ تفقد هذه المشاهدات معناها، أما إذا استخدم قانون التعليل والاستنباط فإنه سيصل إلى القانون الذي يضم هذه المفردات المتفرقة.

ولعلنا نمثل لذلك بقانون الجاذبية فقد جاء ليجمع ملاحظات وتجارب متفرقة مثل ملاحظة أن الطير عندما يموت يقع على الأرض، وأن رفع الحجر على الظهر أصعب، والصعود إلى أعلى الجبل أشق، والنزول منه أسهل، ودوران القمر والنجوم في الفلك، فتلك كلها مشاهدات متفرقة لا علاقة بينها، فاستنبط العلم الحديث أن ثمة رباطا يربط بين هذه المفردات وغيرها أسماه قانون الجاذبية.

فرغم أن الجاذبية في حد ذاتها شيء لا يمكن ملاحظته إلا أن العلم الحديث يؤمن بوجوده ويعتبره حقيقة علمية لا شك فيها لا لشيء إلا لأن هذا القانون يفسر لنا وجود تلك المشاهدات التي ذكرناها.

أرأيت كيف آمن العلم الحديث بوجود حقيقة لم يشاهدها وذلك لأنها تفسر بعض الأمور التي شاهدناها؟ ألا يعد ذلك دليلا على حقية منهج الدين الذي ينطلق من النظر في العالم فينتهي إلى الايمان بوجود الله تعالى، الذي يفسر له حقيقة الكون من حيث أصله وغايته؟!!

المبحث الخامس: منهج علم الكلام الجديد في الاستدلال على وجود الله تعالى:

- **تمهيد:**
- **الاستدلال على وجود الله من خلال وجود الكون وحدوثه.**
- **الاستدلال على وجود الله من خلال النظام المتحقق في الكون.**
- **الاستدلال على وجود الله من خلال روح الكون.**
- **الاستدلال على وجود الله من خلال الحكمة المتحققة في الكون.**

- **تمهيد:**

سعيا لتحقيق الهدف الذي حرص عليه السيد وحيد الدين خان من تجديد علم الكلام، وهو توجيه علم الكلام الجديد نحو بناء الأدلة في باب الإلوهية على الحقائق العلمية التي توصل إليها العلم الحديث، والتي تعمل على اطمئنان الذهن الجديد والعقلية الجديدة، وتعمل في الوقت نفسه على توصيل التعاليم الإسلامية بأحدث أساليب الاستدلال الملائمة للعقل الجديد، اتجه وحيد الدين خان إلى الأدلة العلمية تلك التي قدمها العلم الحديث ليستدل بها على وجود الله تعالى.

- **الاستدلال على وجود الله من خلال وجود الكون وحدوثه.**

اعتمد وحيد الدين خان في الاستدلال على وجود الله تعالى على مسألة وجود الكون معتبرا أن أكبر دليل على وجود الله تعالى هو مخلوقه، أي العالم الذي نجده أمامنا، مقررا في نفس الوقت أننا لا نستطيع أن نفهم أنفسنا ولا أن نفسرها بله الكون كله مجردين عن الإيمان بوجود خالق لهذا الكون.

وقد عالج وحيد الدين خان وهو بصدد الاستدلال بالعالم على وجود الله تعالى مسألتين تتعلق الأولى منهما بتأكيد وجود العالم وإبطال قول من يشكك في هذا الوجود، وتتعلق الأخرى بحدوث العالم.

أما الاولى: فقد ناقش فيها موقف جماعة من المفكرين وصفها بأنها هزيلة العدد جدا شككت في وجود العالم، واتخذ كلامهم شكل نظرية اللاأدرية.[١]

(١) اللاأدرية: كما يقول الجرجاني في التعريفات هم الذين ينكرون العلم بثبوت شيء ولا يثبتونه، ويزعمون أنهم شاكون وشاكون في أنهم شاكون، وهكذا. انظر: التعريفات للجرجاني طبعة دار الكتاب العربي الأولى ص: ١٤٠٥ هـ ويقول صاحب المقاصد: إن اللاأدرية إنما ذهبوا إلى هذا القول وقالوا لا وثوق لحكم الحس أو العقل؛ لما ثبت من شبهات كل فريق من القائلين بالمعرفة الحسية أو العقلية، وقالوا لا وثوق كذلك لحكم النظر والاستدلال لأنه فرع عنهما، فلم يبق إلا التوقف، وغرض هذا التمسك هو حصول =

ويؤكد وحيد الدين خان أن تشكك اللاأدرية يعد نكتة فلسفية، ولكن لا علاقة له بالحقيقة، لأننا حين نفكر فإن تفكيرنا هذا يعد دليلا قاطعا على أن لنا وجودا، وحين نصطدم بشيء ونتألم فهذا في الواقع دليل في ذاته على أن هناك عالما موجودا وجودا ذاتيا خارج وجودنا.[١]

وإذا ما تقرر أن لنا وجودا وأن للعالم وجودا، إذ على أساس ذلك تقوم جميع ألوان النشاط العلمي والحيوي، يقول وحيد الدين خان إذا آمنا بأن الكون موجود فلابد أن نؤمن بإله هذا الكون منطقيا؛ إذ لا معنى لأن نؤمن بوجود المخلوق ونرفض وجود الخالق؛ لأننا لا نعلم شيئا جاء إلى الوجود من العدم دون أن يخلق، فكل شيء مهما بلغ حجمه، عظم أو صغر، جل أو دق فإن وراءه علة، فكيف بنا أن نؤمن بأن كونا عظيما مثل هذا الكون قد جاء إلى الوجود ذاتيا من غير خالق؟!

الشبهة التي قد ترد على هذا الكلام ومناقشتها:

لعل من أهم الشبهات التي قد ترد على هذا الكلام هي ما ذكره جون استيوارت[٢] مل من أن السؤال من الذي خلقني لا يكفي لإثبات وجود الإله إذ ينجم عن ذلك سؤال آخر مؤداه من ذا الذي خلق الإله؟ وقد اعتبر برتراند رسل [٣] هذا السؤال الثاني كافيا لرفض مدلول السؤال الأول.

=

الشك والتهمة لا إثبات أمر ونفيه. انظر: شرح المقاصد في أصول الدين للسعد التفتازاني، ط تركيا، ١٢٧٧هـ٠ج١/٣٠، والمواقف لعضد الدين الإيجي، ط بيروت، ١٤١٩هـ، الأولى٠ ج١/١١٣.

(١) الإسلام يتحدى ص: ٥٢.

(٢) سبقت ترجمته ص: ٢٢.

(٣) سبقت ترجمته ص: ٢٢.

وفحوى هذه الشبهة إننا لو افترضنا وجود خالق للكون فلا مناص من افتراض أنه أزلي، وإذا كان لا مناص من ذلك فلماذا لا نفترض أن الكون أزلي، بمعنى ما الذي يمنع أن يكون الكون أزليا أي وجد وجودا ذاتيا من غير أن يتوقف وجوده على خالق فما الإشكال في ذلك؟!

مناقشة هذه الشبهة بإثبات حدوث العالم:

يبين وحيد الدين خان أن افتراض أزلية الكون كلام لا معنى له؛ لأننا لم نعثر على صفات للكون أيا كانت تثبت أنه أزلي، وربما كان لمثل هذا الكلام حسنه ورواؤه حتى القرن التاسع عشر، أما الآن وبعد اكتشاف القانون الثاني للحرارة الديناميكية، فإنا نجد أن هذا الكلام قد فقد كل أساس يقوم عليه.

وهذا القانون الذي يشير إليه وحيد الدين خان يؤكد أن الحرارة في العالم تنتقل من وجود حراري إلى عدم حراري، أو بمعنى آخر إن الطاقة المتاحة في العالم في طريقها للتناقص، وبناء على هذا الكشف العلمي فإن عدم كفاءة عمل الكون تزداد يوما بعد يوم، ولابد من يوم تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات وحينذاك لا تبقى أي طاقة مفيدة للحياة والعمل، وسيترتب على ذلك أن تنتهي العمليات الكيماوية والطبيعية، وتنتهي تلقائيا مع هذه النتيجة الحياة.(١)

أما دلالة هذا القانون على أن الكون ليس أزليا فهي أن العمليات الكيماوية والطبيعية والحياة بشكل عام قائمة، فلو كان الكون أزليا – لا بداية له– مع وجود هذا القانون لكان معنى ذلك أن الكون يفقد طاقته من أمد لا بداية له، ولو كان كذلك لما بقي في الكون بصيص من الحياة.

وإذا كان الكون ليس أزليا فإن له لحظة ابتدأ وجوده منها، وإذا كان كذلك فلابد من الإيمان بأن له خالقا وموجدا.

(١) الإسلام يتحدى ص: ٥٥.

وفي هذا الصدد ينقل السيد وحيد خان قول الأستاذ إدوارد لوثر كيسل[١] وهو عالم أمريكي في علم الحيوان: يقول: هكذا أثبتت البحوث العلمية – دون قصد – أن لهذا الكون بداية فأثبتت تلقائيا وجود الإله؛ لأن كل شيء ذا بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته، ولابد أن يحتاج إلى المحرك الأول – الإله الخالق.[٢]

فالإيمان بهذه الكشوف العلمية التي تثبت أن للكون بداية تتعارض مع إنكار خالق للكون؛ وما مثل من يؤمن بحدوث الكون مع إنكار موجده إلا كمثل من يزعم أن بناء رفيعا قد قام بنفسه من غير بنَّائين ولا مهندسين مع تسليمه بأنه قد بني في سنة معينة ولم يكن موجودا قبل ذلك!![٣]

- **ثانيا: الاستدلال على وجود الله من خلال النظام المتحقق في الكون.**

يعتمد وحيد الدين خان في هذا النمط من الاستدلال على ما أثبتته الاكتشافات العلمية عموما من ذلك النظام والإتقان الذي يشتمل عليه الكون، والذي نراه متمثلا في أكبر ظواهر الكون وفي أصغرها على حد سواء.

فعلى سبيل المثال أثبت العلم أن حركة الأرض حول الشمس منضبطة تمام الانضباط، بحيث لا يمكن أن يحدث أدنى تغير في سرعة دورانها، حتى بعد مرور قرن من الزمان، وهذا القمر الذي يتبع الأرض في حركته ، يدور في

---

(١) ادوارد إل كيسيل بالإنجليزية EDWARD L. KESSEL هو عالم أحياء وعالم حشرات وعالم حيوانات أمريكي، (١٩٠٤ –١٩٩٧ م) في أوزوبون في الولايات المتحدة، راجع الموسوعة الحرة ويكيبيديا

(٢) الإسلام يتحدى ص: ٥٥، وقد ذكر وحيد الدين خان شواهد كثيرة تدل على أن الكون حادث له بداية انظر المرجع السابق ص: ٥٥ وما بعدها.

(٣) الإسلام يتحدى ص: ٥٦، والاستدلال هنا متشابه في جوهره مع استدلال المتكلمين بحدوث العالم على وجود الله تعالى، إلا أن الدليل هنا يستخدم ما توصل إليه العلم الحديث من اكتشافات يمكن توظيفها لتأكيد قضية حدوث العالم.

فلك مقعر دوراناً منضبطاً مع تفاوت يسير جداً يتكرر بعد كل ثمانية عشر عاما ونصف العام بدقة فائقة، وتلك حال جميع الأجرام السماوية، ويقرر علم الفلك كذلك أن مجرات النجوم يتداخل بعضها في بعض، فتدخل مجرة تشتمل على بلايين السيارات المتحركة في مجرة أخرى مثلها وتتحرك سياراتها هي الأخرى، ثم تخرج منها بسياراتها جميعا دون أن يحدث أي تصادم بين سيارات المجرتين، فالعقل حين ينظر إلى هذا النظام العجيب، والتنظيم الدقيق لا يلبث أن يحكم باستحالة أن يكون هذا النظام كله قائما بنفسه، بل لابد أن هناك قوة مدبرة ومنظمة لهذا النظام الذي يوجد عليه الكون.[١]

أما بالنسبة لأصغر الموجودات فإن العلم الحديث يؤكد أن الذرة هي أصغر عالم، وإنها متناهية في صغرها حتى إنه لا يمكن أن نشاهدها بالمنظار الذي يكبر الأشياء ملايين المرات، فهي تعتبر لا شيء بالنسبة إلى أدنى شيء يستطيع البصر أن يراه، ولكن رغم هذا التناهي في الصغر إلا أن العلم قد أكد أن هذه الذرة تحتوي على نظام الدوران العجيب الموجود في النظام الشمسي، حيث يؤكد العلم الحديث أن الالكترون الذي هو الجزيئ السالب في الذرة يدور حول البروتون الجزيئ الموجب فيها، وهذه الجزيئيات التي لا حقيقة لها أكثر من كونها نقاط وهمية تدور حول مركزها بنفس النظام الذي تتبعه الأرض في مدارها حول الشمس، بحيث لا يمكن تصور وجود الإلكترون في مكان محدد لسرعة دورانه، وإنما هو يتخيل فقط موجودا على طول مداره في وقت واحد، وذلك لأنه يدور حول مداره بلايين المرات في الثانية الواحدة. [٢]

(١) الإسلام يتحدى ص: ٦٠.

(٢) الإسلام يتحدى ص: ٦٢.

إن هذا النظام الذري يستحيل قيامه بنفسه، وفي نفس الوقت لا يمكن مشاهدته، ولكن العلم يجزم بوجوده لأنه لا يمكن تفسير عمله داخل الذرة بغير العلم، وقد تبناه العلم فعلا، أفلا يعد ذلك دليلا على وجود منظم قائم على هذا التنظيم حتى ولو لم تدركه وسائلنا الحسية؟!![1].

وهنا نقول: إن هذا النظام المتمثل في كل مظاهر الكون من أكبرها إلى أصغرها قد لفت انتباه العلماء في العصر الحديث، حيث اتجه العلم الحديث في مخترعاته إلى تقليد نظام الطبيعة، فأصبح العلم يولي أهمية خاصة للسير بالآلات الميكانيكية وفق ذلك النظام الذي يشتمل عليه الكون.

ومن أمثلة ذلك كما يذكر وحيد الدين خان، آلة التصوير فهي عند التأمل تقليد ميكانيكي لعين الإنسان في أجزائها، وطريقة عملها، فإذا كان لا يمكن وجود مثل هذه الآلة دون عقل إنساني، فمن المستحيل أن نتصور أن نظام الكون وهو أشد تعقيدا وأكثر إتقانا قد قام بنفسه من غير عقل وراءه، بل لابد أن ثمة قوة عالمة مريدة أوجدته وأودعت فيه هذا النظام الدقيق العجيب.[2]

- **الاستدلال على وجود الله من خلال روح الكون.**

إن هذا النظام الذي أثبته العلم الحديث المتحقق في كل مظاهر الكون يثبت أن الكون ليس مادة صماء، وإنما هو في الحقيقة منطوٍ على رُوح، هذه الروح لا يمكن أن تصدر إلا عن إله قام بخلق هذا الكون ويقوم بتدبيره، إن الكون متوازن ومتناسب لحد لا يمكن تصوره، فمثلا لكي توجد الحياة فوق الأرض لابد من وجود أحوال كثيرة يستحيل اجتماعها بنسبها الخاصة رياضيا لو لم يكن هناك مدبرٌ لهذا العالم، من ضمن هذه الحالات حجم الأرض، ونسبة

(١) الإسلام يتحدى ص: ٦٧.

(٢) الإسلام يتحدى ص: ٦٦ بتصرف.

جاذبيتها للأشياء، ودرجة بعدها عن الشمس، ونسبة الهواء والماء إلى آخر كل هذه الأحوال التي تتطلبها الحياة على الأرض.

وها نحن نجد أن هذه الأحوال التي تقتضيها الحياة فوق الأرض موجودة ومتحققة، وذلك يحتم علينا أن نؤمن بأن هناك طاقة عظيمة عاقلة وراء الكون هي المتسببة في وجود هذه الحالات.

وفي ذلك يقول" وهايت هيد"[١] لقد كشف نيوتن حين سلم بقضية الجاذبية من خلال ملاحظاته من أن الأجسام يجر بعضها بعضا عن حقيقة فلسفية عظيمة هي أن الطبيعة لو كانت بغير روح لم تكن لتفسر نفسها، كما أن الشخص الميت لا يستطيع أن يحكي واقعا، إن جميع التفسيرات الطبيعية والمنطقية لم تزد أخيرا على أن تكون إظهارا لهدف.[٢]

ويأخذ وحيد الدين خان من كلام "وهايت" قائلا إذا لم يكن هذا الكون تحت سلطان وجود ذي إدراك فلماذا توجد فيه هذه الروح المدهشة؟!![٣]

---

(١) ألفريد نورث وايتهيد)بالإنجليزية(Alfred North Whitehead ، الحاصل على وسام ميريت وزمالة الجمعية الملكية وزمالة الأكاديمية البريطانية (١٥ فبراير ١٨٦١–٣٠ ديسمبر ١٩٤٧)، هو فيلسوف وعالم رياضيات إنجليزي يُعرف وايتهيد بكونه الشخصية الأساسية في المدرسة الفلسفية المعروفة باسم فلسفة الصيرورة، والتي وجدت طريقها، في الوقت الحالي، للتطبيق في مجالات عدة بما في ذلك الإيكولوجي (علم البيئة) واللاهوت والتربية والفيزياء والبيولوجيا والاقتصاد والسيكولوجيا ومجالات علمية أخرى.

(٢) الإسلام يتحدى ص: ٧٠ بتصرف.

(٣) الإسلام يتحدى ص:٧٠ بتصرف، ويذكر وحيد الدين خان أمثلة كثيرة تؤكد أن الكون منطو على روح غريبة تدل على أنه ليس مادة صماء كما زعمت المذاهب المادية المنكرة لوجود الله.

- **شبهة أن الكون وجد صدفة:**

لعل قائلا يقول نسلم بكل هذه الأمور التي ذكرتموها فهي من مكتشفات العلم الحديث، غير أننا لا نجد فيها رمزاً أو إشارة لمنظمٍ أو مدبرٍ، فلم لا تكون كل هذه الأمور من النظام العجيب والحكمة غير العادية، والروح التي تسري في الكون قد جاءت نتيجة الصدفة المحضة، فليس بلازم على التسليم بوجود هذه الأمور أن نسلم بأن ثمت إلهاً وخالقاً للكون.

- **تفنيد وحيد الدين خان لهذه الشبهة:**

يناقش وحيد الدين خان هذه الشبهة فيقرر أنها مجرد لغو مثير، وذلك لأن كل علومنا إلى اليوم تجهل أي صدفة أنتجت واقعاً عظيماً منظماً ذا روح في روعة الكون، فنحن نعرف بعض الصدف وما ينشأ عنها من آثار، فعندما تهب الرياح مثلاً تصل حبوب اللقاح من وردة حمراء إلى وردة بيضاء فتأتي وردة صفراء، فنقول ها هي الصدفة أوجدت شيئا، ولكن عند التأمل فإن هذه الصدفة لا تفسر قضيتنا إلا تفسيراً جزئياً استثنائياً؛ فإن وجود الوردة في الأرض بهذا التسلسل ثم ارتباطها المدهش مع نظام الكون لا يمكن تفسيره بهبة رياح صدفة، إنها تأتي بوردة صفراء لكنها لم تأت بالوردة نفسها.[1]

- **شبهة أخرى:**

لعل أحداً يقول إن نظرية الصدفة ليست افتراضاً، وإنما هي نظرية رياضية عليا، تطلق على الأمور التي لا تتوفر في بحثها معلومات قطعية، فلماذا لا يقبل القول بالصدفة في تفسير الكون بسبب أننا لم نعثر على معلومات قطعية تدل على أن الكون من إيجاد خالق مدبر؟!

(١) الإسلام يتحدى ص: ٨٥.

- **تفنيد وحيد الدين خان لهذه الشبهة:**

ويرد وحيد الدين خان على هذا الكلام بإثباتات العلماء التي تقرر أن قوانين الرياضيات تنفي أي إمكان رياضي في وجود الكون المشتمل على النظام والحكمة بفعل قانون الصدفة.

وتوضيحاً لذلك فقد توصل العلم إلى معلومات كثيرة يؤمن بها عن عمر الكون وضخامة حجمه وما يشتمل عليه الكائن الحي من خلايا وعناصر، فكل هذه المعلومات تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك استحالة وجود الكون عن طريق الصدفة.

بمعنى أن افتراض وجود الكون صدفة سيحتاج إلى أضعاف العمر الذي قدره العلم للكون، وسيحتاج كذلك إلى مواد أكثر بكثير من التي قدرها العلماء في الكون.

لقد حاول رياضي شهير هو الأستاذ " تشارلز يوجين جواي"[١] أن يستخرج المدة التي يقدر وجود الكون لها من طريق الصدفة، فانتهى إلى أن الإمكان المحض في وقوع الحادث الاتفاقي الذي من شأنه أن يؤدي إلى وجود الكون – إذا ما توفرت المادة– هو واحد على مائة وستين في عشرة أي الرقم مضروبا في عشرة مائة وستين مرة، وبعبارة أخرى أن نضيف مائة وستين صفرا إلى جانب الرقم عشرة وهو عدد هائل لا يمكن وصفه. [٢]

---

(١) تشارلز أوجين غاي) من مواليد ١٥أكتوبر ١٨٦٦ في سانت كريستوف، شونفانت ب كانتون فود، سويسرا، وتوفي ١٥ يوليو ١٩٤٢ في جنيف، هو عالم فيزياء سويسري درس الفيزياء في جامعة جنيف حيث حصل على شهادة الدكتوراه في عام ١٨٨٩ من ١٨٩٠ حتي ١٨٩٢

(٢) الإسلام يتحدى ص: ٨٧.

ولابد أن نأخذ في الاعتبار أن القول بالإمكان في قانون الصدفة الرياضي لا يعني أنه لابد من وقوع الحادث الذي ننتظره في تلك المدة السحيقة، وإنما معناه فقط أن حدوثه في تلك المدة محتمل لا بالضرورة، ومن الممكن بنفس الدرجة ألا يحدث شيء ما بعد تسلسل العملية إلى الأبد.[١]

وما أصح ما قاله عالم الأعضاء الأمريكي " مارلين ب كريدر" إن الإمكان الرياضي في توفر العلل اللازمة للخلق عن طريق الصدفة في نسبها الصحيحة هو ما يقرب من لا شيء. [٢] ونخلص من ذلك كله إلى أن كشوف العلم الحديث تثبت أن العالم ليس أزليا، وإنه مشتمل على النظام الدقيق، وإنه يستحيل أن يكون قد وجد صدفة، وفي كل ذلك دلالة على وجود خالق وموجد ومدبر عالم حكيم لهذا الكون.

وبهذا نصل إلى نهاية بحثنا هذا الذي رأينا من خلاله إمكانية مناقشة الالحاد العلمي المعاصر من خلال علم الكلام الجديد وفق الجهود التي قام بها وحيد الدين خان.

فلله الحمد أولا وآخراً

(١) الإسلام يتحدى ص: ٨٨.

(٢) الإسلام يتحدى ص: ٩٢.

الخاتمة

تبين لنا من خلال البحث:

- إمكانية مناقشة دعاوى الإلحاد العلمي في ضوء علم الكلام الجديد.
- مشروعية التجديد في علم الكلام وتأكد هذا التجديد في وقتنا الحاضر.
- يقوم مشروع وحيد الدين خان في تجديد علم الكلام على استخدام معطيات العلم الحديث.
- تأتي جهود وحيد الدين خان في تجديد علم الكلام تتمة لدعوات العلماء من قبله.
- إن الرجوع إلى نهج الإسلام في تعويله على النظر والفكر وما يؤدي إليهما من الاعتماد على الأدلة المستقاة من الطبيعة من شأنه أن يعمل على ترسيخ العقيدة الإسلامية وأن يدفع الشبهات عنها.
- تجديد علم الكلام هو قضية ضرورية ومستمرة وهو عمل كبير وضخم لا بد أن تتضافر الجهود من أجل إنجازه بالشكل الذي يضمن استمرارية عمل هذا العلم، وتدفق عطائه ضمن المهمة الجليلة التي أنشئ من أجلها، ويجب ألا يتوقف التجديد عند حد معين، وذلك لأن العلم الحديث في تطور وتجدد مستمر.

التوصيات:

- المراجعة المستمرة لقضايا وأدلة علم الكلام وما يفرزه العلم الحديث من قضايا لضمان استمرارية علم الكلام في أداء وظيفته المنوطة به.

والله تعالى أسأل التوفيق والقبول

أهم مراجع البحث

القرآن الكريم.

السنة النبوية:

١. أبكار الأفكار للإمام سيف الدين الآمدي تحقيق أ.د/ أحمد المهدي طبعة دار الكتب القومية – الثانية ١٤٢٤ –٢٠٠٤م.

٢. المقدمة لابن خلدون، طبعة الشعب ٣/ 9141 م.

٣. الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة د. يحي هاشم فرغل طبع دار المعارف بدون.

٤. إحياء علوم الدين للإمام الغزالي طبعة دار بن حزم الأولى ١٤٢٦ – ٢٠٠٥م.

٥. الإرشاد لإمام الحرمين الجويني تحقيق د. محمد يوسف موسى، أ. علي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي – مصر ١٣٦٩–١٩٥٠م.

٦. أزمة العقل العربي د/ محمد عمارة، د/ فؤاد زكريا – بدون.

٧. الإسلام في مواجهة التحديات د/ محمد رأفت سعيد طبع دار الوفاء الأولى ١٤٠٧–١٩٨٧م.

٨. الإسلام في مواجهة المذاهب الهدامة د/ محمد البهي ط مكتبة وهبة سنة ١٤٠١ –١٩٨١.

٩. الإسلام وقضايا الحوار أ.د/ محمود زقزوق طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ١٤٢٣– ٢٠٠٢م.

١٠.الاسلام يتحدى وحيد الدين خان ترجمة ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق د. عبد الصبور شاهين ط. مكتبة الرسالة بدون.

١١.أصول الفلسفة الماركسية جروج بوليترز منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت.

١٢.أصول النظام الاجتماعي في الإسلام للشيخ الطاهر بن عاشور الشركة التونسية للتوزيع الطبعة الثانية – بدون.
١٣.الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن العامري تحقيق د/ أحمد عبد الحميد غراب طبع دار الأصالة – الرياض الأولى ١٤٠٨–١٩٨٨م.
١٤.الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده تحقيق د/ محمد عمارة طبع دار الشروق – بدون.
١٥.إفلاس الفكر الماركسي د. محمد عبد الفضيل القوصي دار الطباعة المحمدية ١٩٨٢
١٦.أفيون الشعوب عباس العقاد مؤسسة هنداوي ٢٠١٣ بدون.
١٧.الاقتصاد في الاعتقاد للإمام أبي حامد الغزالي تحقيق أ. د/ مصطفى عمران طبعة دار البصائر الأولى ١٤٣٠ – ٢٠٠٩م.
١٨. البعث الإسلامي وحيد الدين خان ترجمة محسن عثمان الندوي، مراجعة د. عبد الحليم عويس ط. دار الصحوة للنشر والتوزيع ط. أولى سنة ١٤٠٥ هـ
١٩. الله في الفلسفة الحديثة جيمس كولينز ترجمة فؤاد كامل مكتبة Telegram 2020 Network
٢٠.تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم مؤسسة هنداوي القاهرة ٢٠١٢.
٢١.تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد أبي زهرة ط دار الفكر العربي – القاهرة – بدون.
٢٢.التجديد في العلوم الدينية "علم الكلام أنموذجًا"أ .د /عبد الحميد عبد المنعم مدكور.
٢٣.التحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور طبع دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس ١٩٩٧م.
٢٤.التعريفات للجرجاني طبعة دار الكتاب العربي الأولى: ١٤٠٥ هـ
٢٥.تفسير الشيخ المراغي للشيخ – نشر: مكتبة مصطفى الحلبي بمصر.

٢٦.التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي – نشر – دار إحياء التراث العربي بدون.
٢٧.تفسير المنار محمد رشيد بن علي رضا – نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة: ١٩٩٠م.
٢٨.التفكير فريضة إسلامية أ. عباس محمود العقاد طبعة نهضة مصر بدون.
٢٩.تهافت الفلاسفة، تحقيق: د سليمان دنيا، دار المعارف، مصر.
٣٠.جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الالحادي د. محمود عتمان ط. مكتبة المعارف الرياض بدون
٣١.الحرية في الإسلام د/ علي عبد الواحد وافي طبعة دار المعارف مصر ١٩٦٨م.
٣٢.دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدي
٣٣.الدين د. محمد عبد الله دراز (بحوث ممهدة لدراسة الأديان) طبع دار الفكر بدون.
٣٤.الدين في مواجهة العلم وحيد الدين خان ترجمة ظفر الإسلام خان، مراجعة د. عبد الحليم عويس ط. دار النفائس بيروت ط. أولى سنة ١٤٠١ هـ
٣٥.رسالة التوحيد للإمام محمد عبده، طبعة دار الشروق الأولى ١٤١٤ – ١٩٩٤م.
٣٦.رسائل الكندي، تحقيق :د .محمد عبد الهادي أبي ريدة، دار الفكر العربي.
٣٧.شبهات حول الإسلام د/ محمد عمارة طبعة نهضة مصر سنة ٢٠٠٢م.
٣٨.عقائد المفكرين في القرن العشرين عباس العقاد
٣٩.العقيدة كما جاء بها القرآن الكريم الإمام محمد أبو زهرة مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة.
٤٠.الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الاسلام د/ محمد البهي طبع مكتبة وهبة الرابعة بدون

٤١.فلسفة اوجست كونت ليفي بريل، ترجمة د/ محمود قاسم ود/ السيد محمد ط مكتبة الانجلو المصرية بدون
٤٢.فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للإمام الغزالي الطبعة الأولى ١٤١٣-١٩٩٣م.
٤٣.القول السديد للشيخ محمود أبو دقيقة تحقيق د/ عوض الله حجازي بدون.
٤٤.لسان العرب لابن منظور دار صادر – بيروت الطبعة الأولى١٩٩٧م
٤٥.المجتمع الإنساني في ظل الإسلام للإمام محمد أبو زهرة طبعة الدار السعودية للنشر والتوزيع – الثانية -١٤٠١-١٩٨١م.
٤٦.المحصل للإمام الرازي نشر مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – بدون.
٤٧.المستصفى، للغزالي، طبع المطبعة الأميرية ببولاق، ط :٩.
٤٨.معجم الفلاسفة جورج طرابيشي ط ثالثة بيروت ٢٠٠٦م.
٤٩.مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبرى زادة دار المعرفة، بيروت، ط :٩
٥٠.شرح المقاصد في أصول الدين، ط تركيا، ١٢٧٧هـ.
٥١.مقام العقل في الإسلام د/ محمد عمارة طبعة نهضة مصر سنة ٢٠٠٨م.
٥٢.مناقب الاسلام للعامري ط أولى الرياض ١٩٨٨م.
٥٣. مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق ا.د/ محمود قاسم، ط ثانية مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٤.
٥٤.الموافقات للشاطبي، من منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
٥٥.المنقذ من الضلال للغزالي ط الخامسة دار المعارف بدون تحقيق الإمام عبد الحليم محمود.
٥٦.المواقف لعضد الدين الإيجي بشرح السيد الشريف الجرجاني. ط مطبعة السعادة بمصر١٩٠٧م.